كتاب شيخ نجم الدين

كتاب الابتهاج بالكلام
على الاسرا والمعراج
للعلامة الشيخ نجم الدين
الغيطي رحمه
الله
تع

١

من نعم الله سبحانه على الفقير محمد وفا دركزني

ب
٤٢١

133



بسم الله الرحمن الرحيم •

الحمد لله الذي رفع قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
في الدنيا والاخرى • واسرى به ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى فاعظم بذلك فخرا • وقدم جبريل
وصلى بالانبيا والمرسلين ليعلم انه الامام الاعظم وانه
بذلك المقام احرى • ثم رقي الى السموات العلى الى سدرة
المنتهى وظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام وراى من ايات
ربه الكبرى • وتجلى له وخاطبه وثبت فواده واعطاه سؤله
واعظم له بذلك الاجرا • فسبحانه من اله نزه نفسه بنفسه
في مقام الانباء عن الاسرا • واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة يتوالى علينا امدادها تترا • و
اشهد ان سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده و
رسوله الذي بعثه رحمة للعالمين وكنزا لهم وذخرا • صلى
الله عليه وسلم وعلى اله واصحابه وتابعيه خصوصا وارثيه
الذين اشاد الله لهم في الخافقين ذكرا • وبعد فقد قال الله
العظيم في كتابه المبين • وهو اصدق القائلين • بسم الله
الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى • الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع
البصير • وسنتكلم ان شاء الله على بعض فوايد هذه الاية

الكريمة وعلى فوايد بعض ايات من اول سورة والنجم ثم نورد
حديث قصة الاسرا والمعراج ونتكلم على بعض فوايده ان
شاء الله تعالى مستمدا من الله المعونة والهداية • و
الكفاية والرعاية • فنقول • سبب نزولها كما قاله ابو حيان
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الاسرا به كذبوه
فانزلها الله تعالى • ووجه اتصال هذه السورة بما قبلها
ومناسبتها له انه تعالى لما امره صلى الله عليه وسلم • بالصبر
ونهاه عن الحزن عليهم وان يضيق صدره من مكرهم وكان
من مكرهم نسبته الى الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما
رموه به اعقب تعالى ذلك بشرفه وفضله واحتفايه
وعلو منزلته عنده بذكر الاسرا في اول هذه السورة
وايضا لما امره بالصبر في اخر السورة المتقدمة بقوله تعالى
واصبر وما صبرك الا بالله والصبر هو التحمل للمكاره
والتحمل من جملة ما يودي الى التجمل ومنه ما ذكر في اول
هذه السورة • وقد • روى البخاري عن ابن مسعود انه
قال في سورة بني اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبيا
هن من العتاق الاول وهن من تلادي والعتاق
بكسر العين المهملة جمع عتيق والعرب تجعل كل شيء بلغ
الغاية في الجودة عتيقا والاول بضم الهمزة وفتح الواو
المخففة والاولية باعتبار حفظها او باعتبار نزولها
لانها مكيات وقوله من تلادي بكسر التاء الفوقية

وتخفيف اللام وبعد الألف دال مهملة اي تماحفظته قديما
وهو ضد الطارف ومراده ان لهن فضلا باعتبار ما تقدم
وما تضمنه مفتتح كل منها من امر غريب وقع في العالم
خارق للعادة وهو الاسرا وقصة اصحاب الكهف
وقصة مريم وهذا وجه في ترتيبها وهو اشتراكها في قدم
النزول وكونها مكيات وكلها مشتملة على القصص
وروى الامام احمد عن عايشة رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا كل ليلة بني اسرائيل
والزمر والعتاق بكسر العين المهملة جمع عتيق والعرب
تجعل كل شيء بلغ الغاية عتيقا والحكمة في افتتاح هذه
السورة بالتسبيح كما قاله في زاد المسير وجهان احدهما
ان العرب تسبح عند الامر العجيب فكان الله تعالى عجب خلقه
بما اسدى الى رسوله صلى الله عليه وسلم من الاسرا والثاني
ان يكون خرج مخرج الرد عليهم لانه صلى الله عليه وسلم لما
حدثهم عن الاسرا كذبوه فيكون المعنى تنزه الله تعالى
ان يتخذ رسولا كذابا فان قلت ما الحكمة في افتتاح سورة
الاسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد اجيب بان التسبيح حيث
جاء مقدم على التحميد نحو نسبح بحمدك سبحان الله والحمد لله
لان التسبيح هو التنزيه والحمد الثناء فالاول من باب
التخلية والثاني من باب التحلية والتخلية مقدمة على
التحلية واجيب ايضا بان سورة سبحان لما اشتملت على

الاسرا

3

الاسرا وكذب المشركون به النبي صلى الله عليه وسلم وكذبه
تكذيب لله تعالى اتى بسبحان لتنزيه الله عما لا يليق به
وينسب اليه من الكذب وسورة الكهف لما نزلت
بعد سوال المشركين عن قصة اصحاب الكهف وتاخر الوحي
نزلت مبينة ان الله تعالى لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن
المؤمنين بل اتم عليهم النعمة بانزال الكتاب فناسب افتتاحها
بالحمد على هذه النعمة واما سبحان فهو اسم بمعنى التسبيح
الذي هو التنزيه فهو اسم واقع موقع المصدر ولا يكاد
يستعمل الا مضافا وقد يستعمل علما فيقطع عن الاضافة
ويمنع من الصرف وانتصابه بفعل مضمر اي اسبح الله
سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على
التنزيه البليغ لان في حذف العامل واقامته مقامه
دلالة على ان المقصود بالذات هو المصدر والفعل
تابع فيفيد الاخبار بسرعة وجود التنزيه واذا قلنا بانه
علم التسبيح فالعلم على نوعين علم شخصي وعلم جنسي ثم انه
تارة يكون للعين وتارة يكون للمعنى فهذا من العلم
الجنسي الذي يكون للمعنى فان قلت لفظ سبحان واجب
الاضافة فكيف الجمع بين العلمية والاضافة اجيب بانه
ينكر ثم يضاف كما قال الشاعر علا زيدنا يوم النقا راس
زيدكم ... بابيض ماضي الشفرتين يماني ، والتسبيح مما استاثر
الله تعالى به كما قاله بعضهم فبدا بالمصدر اي بالاسم

الموضوع موضعه في بني اسرائيل لان المصدر هو الاصل ثم
بالماضي في الحديد والحشر والصف لانه اسبق الزمانين
ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن ثم بالامر في الاعلى استيعابا
لهذه الكلمة من جميع جهاتها فهو ذكر يعظم الله به مختص ثم
لا يصلح لغيره ولا يستعمل الا فيه واما قول الشاعر سبحان
من علقمة الفاخر فعلى سبيل الشذوذ واما معناه روى الحاكم
ان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن معنى سبحان فقال تنزيه الله من كل سوء وروى ابن ابي
حاتم عن علي رضي الله عنه قال سبحان الله كلمة احبها الله
لنفسه ورضيها واحب ان تقال وقال الكرماني وغيره
اعلم ان سبحانه وتعالى له صفات سلبية مثل لا شريك له ولا ضد له
ولا ند وكذا سائر التنزيهات وتسمى بصفات الجلال وله تعالى
صفات وجودية كالعلم والقدرة وتسمى بصفات الاكرام اي التسبيح
اشارة الى الاولى واصل ذلك الاقتباس من قوله تعالى ذو الجلال
والاكرام وحاصل المعنى تنزيه الحق تعالى نفسه المقدسة عن
شوائب جميع النقص وتبعيده من السوء في الذات والصفات
والافعال والاسماء والاحكام فيلزم نفي الشريك والصاحبة
والولد وجميع الرذائل من سبح في الارض اذا ذهب فيها
وابعد اي ما ابعد الذي له هذه القدرة عن جميع النقائص
وصدر به ههنا للتنبيه على ما بعده عن النقايص والتنزيه
تعالى عن العجز عن اسرائه بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد

الاقصى

اي العجب من علقمة اذ فخر والعرب
تقول سبحان من كذا اذا تعجبت
منه قال الراغب وقول الشاعر
سبحان من علقمة الفاخر تقديره
سبحان الله من علقمة على سبيل
التهكم فزاد فيه من رد الى اصله
وقيل اراد سبحان الله من اجل
علقمة فحذف المضاف اليه انتهى
فعلى الثاني لا شذوذ فيه لانه ما
استعمل الى غير الله لانه مضاف اليه
وقد حذف المضاف اليه وهو يراد
للعلم به وابقى المضاف على حاله
مراعاة لاغلب احواله اعني التجرد
عن التنوين ومن اضافه على ذلك
لا شاهد فيه على العلمية لانه مضاف
وفي الوجه الاول نظر لان من لا تزاد
في الاثبات وعلقمة هو صحابي قدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبايع وهو شيخ واستعمله عمر على
حوران ومات بها وفي الاستيعاب
علقمة بن علاثة الكلابي العامري
من المؤلفة قلوبهم كان سيدا في قومه
حليما عاقلا ولم يكن فيه ذاك الكرم
ح

الاقصى وقد ورد في فضل التسبيح ما رواه مسلم وغيره
عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله ان احب الكلام الى
الله سبحان الله وبحمده وفي رواية الترمذي سبحان ربي ربي
وبحمده وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او
لعباده سبحان الله وبحمده وهذا محمول على كلام الادميين
والا فالقران افضل من التسبيح والتهليل المطلق واما
الماثور في وقت او حال فالاشتغال به افضل وفي صحيح
مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ومن قال في كل يوم سبحان الله وبحمده
مائة مرة غفرت له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر قال
الطيبي يوم مطلق لم يعلم في اي وقت من اوقاته وقال
غيره ظاهر الاطلاق يشعر بانه يحصل هذا الاجر المذكور
لمن قالها مائة مرة سواء قالها متوالية او متفرقة في
مجالس او بعضها اول النهار وبعضها اخره وقوله
غفرت ذنوبه اي الصغائر من حقوق الله خاصة لان
حقوق الناس لا تغفر الا برضا الخصوم وروى البزار
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست
له نخلة في الجنة واخرج الطبراني في الاوسط والخرايطي

وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم من قال اذا اصبح سبحان الله وبحمده الف مرة
فقد اشتري نفسه من الله وكان اخر يومه عتيق الله وقال
الحافظ الهيثمي في مجمع الزوايد بعد ايراده رواه الطبراني
في الاوسط وفيه من لم اعرفه انتهى وهذه فايدة عظيمة ينبغي
ان يحافظ عليها وغنيمة جسيمة يبادر الي الاعتنا بها والمداومة
عليها ويشبههاما يتداوله السادة الصوفية من قول لا
اله الا الله سبعين الف مرة ويذكرون ان الله يعتق بها
رقبة من قالها ويشتري بها نفسه من النار ويحافظون
علي فعلها لانفسهم ولمن مات من اهاليهم واخوانهم وقد
ذكره الامام اليافعي والعارف الكبير المحيوي بن عربي و
اوصي بالمحافظة عليها وذكروا انه قد ورد فيها خبر نبوي
وحكوا ان شابا صالحا كان من اهل الكشف ماتت امه فصاح
وبكي وخر مغشيا عليه ثم سئل عن سبب ذلك فذكر انه راي
امه في النار وكان بعض المشايخ من السادة حاضرا وكان
قد قال هذه السبعين الفا واراد ان يعدها لنفسه فقال في
نفسه عندما سمع قول الشاب المذكور اللهم انك تعلم اني هللت
هذه السبعين الف هليلة واريد ان ادخرها لنفسي و
اشهدك اني قد اشتريت بها ام هذا الشاب من النار فما
استتم هذا الوارد الا وتبسم الشاب وسر وقال الحمد لله اري
امي قد خرجت من النار وامر بها الي الجنة قال الشيخ المذكور

او رقبة من يقولها عنه ويشتري بها نفسه من النار

فحصل

فحصل لي فايدتان صدق الخبر المذكور وصحته وصدق كشف
هذا الشاب انتهى لكن الحديث المذكور قال بعض المشايخ
لم ترد به السنة فيما اعلم وقد وقفت علي صورة سوال للحافظ
بن حجر رحمه الله عن هذا الحديث وهو من قال لا اله الا الله
سبعين الفا فقد اشتري نفسه من الله هل هو حديث
صحيح او حسن او ضعيف وصورة جوابه اما الحديث يعني
المذكور فليس بصحيح ولا حسن ولا ضعيف بل هو باطل موضوع
لا تحل روايته الا مقرونا ببيان حاله انتهى لكن ينبغي للشخص ان
يفعلها اقتداء بالسادة الصوفية رضي الله عنهم وامتثالا
لقول من اوصي بها وتبركا بافعالهم وقد ذكرها الشيخ الولي
الزاهد العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عراق نفعنا الله
بركاته في بعض سفيناته المؤلفة وقال كان شيخه يأمر بها
وذكر ان بعض اصحابه ذكر له عن بعض الصلحا انه كانت
له سبحة عددها الف وكان يديرها سبعين مرة من بعد
صلاة الصبح الي طلوع الشمس قال وهذه كرامة له من الله
فنسال الله ان يمن علينا بذلك وان يلحقنا بعباده الصالحين
انتهى وعن شريح العابد قال بلغني انه لو قسم ثواب تسبيحة علي
جميع هذا الخلق لاصاب كل واحد منهم خيرا والفضايل كثيرة
شهيرة وفيما ذكرناه كفاية لمن له بصيرة وقوله تعالى اسري
بعبده قال اهل اللغة اسري وسري لغتان زاد بعضهم
انهما مختصان بسير الليل واسري لازم كسري فيحتاج الي

التعدية والهمزة هنا ليست للتعدية خلافاً لابن عطية وانما
المعدي الباء في بعبده ولا يقتضي مصاحبة الفاعل للمفعول
في الفعل عند الجمهور خلافاً للمبرد والسهيلي والعبد لغة
المملوك من نوع من يعقل وقال في الحكم العبد الانسان حراً
كان او رقيقاً لانه مملوك لباريه سبحانه وتعالى وقال سيبويه
انه في الاصل صفة ولكنه استعمل استعمال الاسماء واجمع المسلمون
على ان المراد بالعبد هنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
هنا بعبده دون نبيه او حبيبه لئلا تضل امته كالنصارى
او لان وصفه بالعبودية المضافة الى الله تعالى اشرف المقامات
قال الاستاذ ابو علي الدقاق رحمه الله ليس للمؤمن صفة اتم و
لا اشرف من العبودية ولذلك اطلقها الله على نبيه في اشرف
المواطن كقوله سبحان الذي اسرى بعبده الحمد لله الذي انزل
على عبده الكتاب تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فاوحى الى
عبده ما اوحى وقال البرهان النسفي رحمه الله لما وصل النبي صلى
الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعراج
اوحى الله تعالى اليه يا محمد بم اشرفك قال يا رب بنسبتي اليك بالعبودية
فانزل الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده الاية وفي معنى ذلك
قيل لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي واقوال العلماء في
العبد والعبودية كثيرة وكل احد تكلم بلسان قاله على قدر مقامه
وحاله فقال ابن عطا العبد الذي لا ملك له وقال رويم تحقق
العبد بالعبودية اذا اسلم القياد من نفسه الى ربه وتبرا من حوله

وقوته وعلم ان الكل له وبه وقال عبد الله بن محمد حرت صفة
العبودية ان كنت لا ترى لنفسك ملكاً وتعلم انك لا تملك لها
نفعاً ولا ضراً وما احسن ما قيل في هذا القبيل • وكنت قديماً
اطلب الوصل منهم • فلما اتاني العلم وارتفع الجهل • تيقنت
ان العبد لا طلب له • فان قربوا فضل وان ابعدوا عدل • وان
اظهروا لم يظهروا غير وصفهم • وان ستروا فالستر من اجلهم
قال الامام الرازي دل قوله بعبده على ان الاسرا بجسد رسول
الله لان العبد اسم للجسد والروح قال الله تعالى ارايت الذي
ينهى عبداً اذا صلى وانه لما قام عبد الله يدعوه وقوله تعالى
ليلاً ظرف للاسرا واستشكل كثير من الناس كون ليلاً ظرفاً
للاسراء فهم انه وقع ليلاً فهو كالصبوح في شرب الصباح لا
يحتاج الى قوله شربت الصبوح صباحاً وجوابه ان الاسرا وان
كان كذلك لان العرب تفعل مثل ذلك في بعض الاوقات
اذا ارادت تاكيد الامر والتاكيد نوع من انواع كلامهم واسلوب
منه والعرب تقول اخذته بيده وقاله بلسانه وقال بعضهم فايدة
التاكيد هنا رفع توهم المجاز لانه قد يطلق على سير النهار ايضاً
وقال الزمخشري اراد بقوله ليلاً بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا
وانه وقع السري به في بعض من الليل من مكة الى الشام مسيرة
اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية
قال ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض
الليل وقال غيره فكان المعنى سبحان الذي اسرى بعبده في

كان صم

لانه تقدم ان الاسرا هو سير الليل
فاذا اطلق الاسرا

ليل واحد من كذا الى كذا وهو موضع التعجب وانما عدل عن ليلة
الى ليلا لانهم اذا قال لو اسرى ليلة كان ذلك في الغالب استيعابا
الليلة بالسرى فقيل ليلا اي في ليل قال ابن المنير رحمه الله
وانما كان الاسرا ليلا لانه وقت الخلوة والاختصاص عرفا
ولانه وقت الصلاة التي كانت مفروضة عليه في قوله تعالى
قم الليل وليكون ابلغ للمومن في الايمان بالغيب وفتنة للكافر
وقال بعض اهل الاشارات لما محى الله اية الليل وجعل اية النهار
مبصرة انكسر الليل فجبر بان اسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم
قال ابن دحية اكرم نبينا محمد صلعم ليلا بامور منها انشقاق القمر
وايمان الجن به وراى اصحابه نيرانهم كما في صحيح مسلم وخرج الى الغار
ليلا والليل اصل ولهذا كان اول الشهر وسواده يجمع ضوء البصر
ويحد كليل النظر ويستلذ فيه بالسمر وكان صلى الله عليه وسلم اكثر
اسفاره ليلا وقال عليه الصلاة والسلام عليكم بالدلجة فان الارض
تطوى بالليل والليل وقت الاجتهاد للعبادة وكان صلعم يقوم
حتى تورمت قدماه وكان قيام الليل في حقه واجبا فلما كانت
عبادته ليلا اكرم بالاسراء فيه ليكون اجر الصدق فيه اكثر ليدخل
في من امن بالغيب دون من عاينه نهارا وقدم الحق سبحانه وتعالى
الليل في كتابه العزيز على ذكر النهار فقال عز وجل وجعلنا
الليل والنهار ايتين وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
الى غير ذلك من الايات وصح انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا
تبارك وتعالى كل ليلة الى سما الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخر

فيقول

ويحمل فيه وجه النجوم

وقال ابن السبكي في عروس الافراح
وعد الزمخشري منه يعني من
التقليل سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا اي ليلا قليلا اي
بعض ليل واورد عليه ان
التقليل رد الجنس الى فرد من
افراده لا تنقيص فرد الى جزء
من اجزائه وفيه نظر لان
التقليل لو عني به فرد لكان هو
تنكير الافراد الدال على الوحدة
وانما التقليل اعم من الافراد لان
التقليل يصدق على الثلاثة
بالنسبة الى المائة واما قوله ان
التقليل لا يرد الشي الى جزئه
حقيقة فصحيح لكن لا نسلم ان
الليل حقيقة في جميع الليلة بل كل
جزء من اجزائها يسمى ليلا وغاية
اطلاقه بعض الليل على قولنا
ليلا ليس بظاهر فان كل بعض
فيه ليل فلا يبعض الا ان يقال
بعض الليل يسمى ليلا باعتبار
نفسه وبعض ليل باعتبار
الباقي انتهى

فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسالني فاعطيه ومن يستغفرني
فاغفر له الحديث وهذه الخصيصة لم تجعل بالنهار فنبه بها
صلى الله عليه وسلم لما في ذلك الوقت من الليل من سعة
الرحمة ومضاعفة الاجر وتعجيل الاجابة ولابطال كلام
الفلاسفة ان الظلمة من شانها الاهانة والشر ولان الله
تعالى اكرم اقواما في الليل بانواع الكرامات كقوله تعالى في قصة
ابراهيم صلعم فلما جن عليه الليل الاية وفي لوط بقوله فاسر
باهلك بقطع من الليل وفي موسى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة و
ناجاه ليلا وامره باخراج قومه ليلا انتهى ومن هنا اختلف في
التفضيل بين الليل والنهار وصنف فيه بعضهم كتابا فرجح الليل
بوجوه منها ما تقدم انفا ومنها سبقه النهار اي تقدمه في
الخلق وفيه ساعة الاجابة كما تقدم وهي في كل الليالي بخلاف
الايام فهي منها في يوم الجمعة فقط ورجح النهار بوجوه منها
قوله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم عرفة او
يوم الجمعة لكن رد بان هذا بالنسبة الى الايام دون الليالي
وبان ليلة القدر خير من الف شهر وقيل دخل في هذه الليلة
اربعة الاف جمعة قلت ومن اعظم الادلة القاطعة للنزاع
الدالة على تفضيل الليل وقوع رؤية الله تعالى فيه للنبي صلعم ليلة
الاسرا ونزول القران فيه كما يدل عليه قوله تعالى انا انزلناه في
ليلة القدر الاية والله اعلم قال ابو امامة بن النقاش رحمه
الله تعالى ليلة الاسرا افضل من ليلة القدر في حق النبي صلى الله عليه وسلم

وقد

وليلة القدر افضل في حق الامة لانها لهم خير من عمل اكثر من ثمانين سنة
من كان قبلهم واما ليلة الاسرا فلم يأت في ارجحية العمل فيها حديث
صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يبينها النبي صلى الله عليه وسلم وقول
السبكي الامام رحمه الله تعالى في قصيدته التي مدح فيها النبي صلعم
ولاول روئيته في ليلة فضلت • ليالي القدر فيها الرب رضا كا
يوخذ منه ان ليلة الاسرا افضل من ليلة القدر ولعل الحكم في
ذلك كما قاله في الاصطفا اشتمالها على روئيته التي هي افضل كل
شيء ولذا لم يجعلها ثواب عمل من الاعمال مطلقا بل من بها
على عباده المومنين تفضلا منه سبحانه وتعالى انتهى وهذا مما يوئد
ما قلناه انفا في تفضيل الليل لكن بقي النظر في تحرير محل الخلاف
وقد حرره بعضهم كما وجد بخط الحافظ ابن حجر نقلا عن الهدى فقال
ان كان المراد ان ليلة الاسرا ونظائرها من كل عام افضل من ليلة
القدر فهذا باطل لم يقله احد من المسلمين وهو معلوم الفساد
والاضطراب وان اراد الليلة المعينة التي اسري فيها النبي
صلى الله عليه وسلم وحصل له فيها ما لم يحصل له في غيرها من غير
ان يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة فهذا صحيح ان قام
دليل على انعام الله على نبيه ليلة الاسرا كان اعظم من انعامه عليه
بانزال القران ليلة القدر وهذا لا يعلم الا بوحي ولا يجوز لاحد
ان يتكلم فيه بلا علم ولا يعرف عن احد من الصحابة انه خص ليلة
الاسرا بامر من الامور ولهذا لا يعرف اي ليلة كانت وان كان
الاسرا في نفسه من اعظم فضائله كما انه صلى الله عليه وسلم لم يخصص

بحث يكون قيامها والدعاء فيها افضل من ليلة القدر ر م

غار

غار حراء الذي انزل عليه فيه الوحي ولا خص اليوم الذي ابتدئ
فيه الوحي بشيء انتهى وظاهر هذا الكلام ان الخلاف بين الليلة
المعينة التي اسري فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم وبين ليلة القدر
التي انزل فيها القران كما يدل عليه قوله ان قام دليل على ان
انعام نبيه ليلة الاسرا كان اعظم من انعامه عليه بانزال القران
ليلة القدر واما الليلة المعينة التي اسري به صلعم فيها وليلة
القدر في كل عام فينبغي ان يكون فيها قول ابي امامة ابن النقاش
المتقدم واما نظائر الليلة في كل عام فلا شك ان ليلة القدر
من كل عام افضل منها لما لا يخفى وقوله من المسجد الحرام من لابتداء
الغاية والمسجد لغة مفعل بالكسر اسم لمكان السجود وبالفتح اسم
للمصدر واما شرعا فكل موضع من الارض لقوله صلعم جعلت لي
الارض مسجدا وطهورا ولما كان السجود افضل افعال الصلاة لقرب
العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل مسجد ولم يقولوا
مركع ثم ان العرف خصص المسجد بالمكان المهيئ للصلوات الخمس حتى
يخرج المصلى المجتمع فيه للاعياد ونحوها فلا يعطى حكمه وكذلك الربط
والمدارس فانها هيئت لغير ذلك والحرام اي المحرم وهو ضد الحلال
وذلك لما منع المحرم فيه مما يجوز لغيره ولما منع في الحرم مما يجوز في
غيره من البلاد قال الماوردي كل موضع ذكر الله فيه المسجد
الحرام فالمراد به الحرم الا في قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فانه
اراد به الكعبة وقال بعضهم المراد بالمسجد الحرام في قوله سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام مكة لانه صلى الله عليه وسلم كان في

بيت ام هاني واول مسجد وضع على الارض المسجد الحرام وهو مسجد مكة
شرفها الله تعالى كما قال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا وفي الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه قال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع على الارض قال المسجد الحرام
قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت وكم بينهما قال اربعون عاما
الحديث وقد اشكل هذا الحديث على بعضهم فقال معلوم ان سليمان
بن داود صلى الله عليهما وسلم لما بنى بيت المقدس سال الله ثلاثا
الحديث ان شاء الله تعالى وهو انما بعد ابراهيم صلعم كما قال اهل
التاريخ باكثر من الف عام وهذا القائل جهل التاريخ بان سليمان
انما كان له من المسجد الاقصى تجديده لا تاسيسه والذي اسسه
هو يعقوب بن اسحاق صلى الله عليهما بعد بناء ابراهيم الكعبة بهذا
القدر قال بعضهم ان هذين المسجدين وضعا قديما ثم خربا ثم بنيا
انتهى وزعم بعضهم ان اول من بنى البيت ادم وان غيره من ولده
وضع بيت المقدس بعده باربعين عاما حكاه بن الجوزي وغيره وذكر
ابن هشام في التيجان ان ادم عليه السلام لما بنى البيت امره جبريل بالمسير
الى بيت المقدس وان يبنيه فبناه ونسك فيه وقوله تعالى الى المسجد
الاقصى كلمة الى لانتهاء الغاية ومدلولها هنا انه وصل الى حد ذلك
المسجد ولا دلالة في اللفظ على انه دخل لكن القرينة تدل على دخوله
وهي العلم بانه انما يسرى به الى بيت المقدس ليدخله ويبعد ان
يسرى به الى بيت المقدس ولا يدخله وصرحت السنة الصحيحة
باقتضائه القرينة من دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد الاقصى وهو

شرعا

الذي عمره نبي الله سليمان صلعم بامر الله عز وجل كما تقدم وما زال مكرما
محترما وهو احد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال الا اليها
اي لا يقصد بالزيارة والتعظيم من جهة امر الشارع الا هذه
الثلاثة وقد روى النسائي وابن ماجه وغيرهما ان سليمان لما بنى
بيت المقدس سال الله تعالى ثلاثا ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه
اياه وساله حكما يواطئ حكمه فاعطاه اياه وساله من اتى هذا
البيت يريد بيت المقدس لا يريد الا الصلاة فيه ان يخرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه فقال رسول الله صلعم وانا ارجو ان يكون قد
اعطاه الثالثة وروى ابو داود وابن ماجه عن ميمونة قلت
يا رسول الله افتنا في بيت المقدس قال ارض المحشر والمنشر ايتوه
فصلوا فيه فان صلاة فيه كالف صلاة في غيره قلت ارايت
ان لم استطع اصلي فيه قال فتهدي له زيتا يسرج فيه فمن فعل
ذلك فهو كمن اتاه وهو معدن الانبيا من لدن الخليل صلعم ولذا
اجتمعوا له هنالك كلهم وامهم في محلتهم ودارهم ليدل ذلك
على انه الرئيس المقدم والامام الاعظم صلى الله عليه وسلم
والاقصى افعل من القصى والقاصي هو البعيد وسمي
الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام فبينهما مسافة
ثلاثين يوما عادة او لانه لم يكن وراءه مسجد فثبت له هذا
النعت وان كان وراءه بعد مسجد هو اقصى منه لان العلمية اذا
ثبتت لسبب لم يضر زوال السبب ويحتمل ان يريد بالاقصى البعيد
دون مفاضلة فافعل التفضيل ليس على بابه قال الامام ابن ابي جمرة

والحكمة في اسرائه صلعم اولا الى بيت المقدس لاظهار الحق على من
عاند لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الاعداء
سبيلا الى البيان والايضاح فلما ذكر انه اسرى به الى بيت المقدس
سألوه عن اشياء من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا انه لم
يكن رآها قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما
ذكر من الاسراء به الى بيت المقدس في ليلة واذا صح خبره في
ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكر انتهى وقيل الحكمة في ذلك
ليحصل له العروج مستويا من غير تعويج ولما روي عن كعب ان
باب السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس
قال وهو اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقال بعض
الحفاظ وفيه نظر وقيل الحكمة في ذلك ان الله تعالى اراد ان يريه
القبلة التي صلى اليها مدة كما عرف الكعبة التي صلى اليها وقيل
لانه مجمع ارواح الانبياء فحصل له الرحيل اليه في الجملة ليجمع بين اشتات
الفضائل وقال ابن دحية يحتمل ان يكون الحق سبحانه وتعالى اراد
ان لا يخلي تربة فاضلة من مشهده ووطئ قدمه فتمم تقديس بيت المقدس
بصلاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيه فلما تم تقديسه اخبر
صلى الله عليه وسلم انه لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد
الحرام لانه مولده ومسقط رأسه وموضع نبوته ومسجد المدينة
لانه محل هجرته وارض تربته ومسجد الاقصى لانه موضع معراجه صلعم
وما احسن قول بعض العارفين في رمزه لتلك الحقائق البالغة نهاية
التمكين ومسجدي الاقصى مساحب بردها وطيب ثرى ارض تمشت

وقوله تعالى الذي باركنا حوله البركة الزيادة والنماء قال الراغب
البركة ثبوت الخير الالهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الخير
فان قيل كيف قال باركنا حوله ولم يقل باركنا عليه او فيه مع ان
البركة في المسجد تكون اكثر من خارج المسجد وحوله خصوصا
المسجد الاقصى قلنا اراد البركة الدنيوية كالانهار الجارية و
الاشجار المثمرة وذلك حوله لا فيه وقيل اراد البركة الدينية
فانه مقر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومتعبدهم ومهبط
الوحي والملائكة وانما قال باركنا حوله لتكون بركته اتم واشمل
فانه اراد بما حوله ما احاط به من ارض الشام وما قاربها
وذلك اوسع من مقدار بيت المقدس ولانه اذا كان هو الاصل
وقد بارك في لواحقه وتوابعه من البقاع كان هو مباركا فيه بالطريق
الاولى بخلاف العكس وقيل اراد البركتين الدنيوية والدينية
وفيه ما مر من التوجيه وقيل المراد باركنا حوله من بركة نشأت
منه فعمت جميع الارض لان مياه الارض كلها اصل انفجارها
من تحت صخرة بيت المقدس انتهى فان قيل اذا كانت البركة حول
المسجد الاقصى كما ذكر فبماذا يتميز عليه المسجد الحرام اجيب بان البركة
حول المسجد الاقصى انما باعتبار الدنيا او رفاهيتها وخصبها
والبركة حول المسجد الحرام باعتبار الدين والفضل وتضعيف
الحسنات فيه للطائفين والعاكفين والمتوطنين والوافدين
لان الاجر يكون على قدر النصب وهو واد غير ذي زرع نزهه
الله عن خصب الدنيا وسعتها لئلا يكون القصد اليه ممزوجا

بقصد الدنيا وهذه البركة الدينية افضل من تلك البركة الدنيوية
انتهى واما ان يكون المراد بالبركة في المسجد الاقصى البركتين الدنيوية
والدينية فالبركة الدينية والدنيوية التي في المسجد الحرام تفضلها
باعتبار ما تقدم وحوله منصوب على الظرفية اي اوقعنا البركة
حوله وحول الشيء جانبه الذي يمكنه ان يتحول اليه والضمير
فيه راجع الى المسجد الاقصى وقوله تعالى لنريه من اياتنا قراءة
العامة بنون العظمة جريا على باركنا وفيه التفات من الغيبة في قوله
اسرى بعبده الى التكلم في باركنا ولنريه ومن اياتنا وطريقة الالتفات
من طرق البلاغة ففي الاية التفاتان فالالتفات الاول من الغيبة الى
التكلم والالتفات الثاني هو من التكلم الى الغيبة في قوله انه هو
السميع البصير بناء على ان الضمير فيه تعالى كما سياتي ووجه ذلك
ان قوله سبحان الذي اسرى بعبده يدل على مسراه من عالم الشهادة
الى عالم الغيب فهو بالغيبة انسب وقوله الذي باركنا حوله دال
على انزال البركات وتعظيم شان المنزل فهو بالحكاية على التفخيم
احرى وكذا قوله لنريه من اياتنا يدل على عظمة الاراءة والايات
المرئية فهو اولى بالتعظيم والحكاية على التفخيم ايضا وقوله تعالى
انه هو السميع البصير اشارة الى مقام اختصاصه بالمنح و
الزلفى وغيبة شهوده في عين لا يسمع ولا يبصر فالعود الى
الغيبة اولى وقرا الحسن ليريه بالياء التحتية اي الله تعالى فعلى
هذه القراءة يكون في الاية اربع التفاتات فالثالث والرابع
هو الالتفات من التكلم في باركنا الى الغيبة في ليريه ثم التفت الى

التكلم

التكلم في اياتنا ووجههما انه في ليريه اعادة الى مقام الستر و
الغيبة من هذا العالم فالغيبوبة بهما اليق وقوله من اياتنا
عود الى التعظيم على ما سبق ومعنى الرؤية هو ما اري تلك
الليلة من عجائب السموات والارض والايات الدالة على قدرة
الله تعالى ومنها ما ذكر في القصة من ذهابه في برهة من الليل
مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثيل الانبياء له ووقوفه
على مقاماتهم ومن هنا للتبعيض وانما اتى بها هنا تعظيما للايات
الله تعالى فان هذا الذي رآه محمد صلى الله عليه وسلم وان كان
جليلا عظيما فهو بعض بالنسبة الى جملة ايات الله وعجائب قدرته
وجليل حكمته والرؤية هنا بصرية وقيل قلبية واليه نحا ابن
عطية فانه قال ويحتمل ان يريد لنري محمدا للناس آية اي يكون النبي
صلى الله عليه وسلم آية في انه يصنع الله ببشر هذا الصنع وقد تكون
الرؤية قلبية على هذا والاية العلامة الظاهرة على ما يلازمها
فاية النبي علامته الظاهرة ثم غلبت فيما يدل على صدق الرسل وعلى
الالهية وكرامات الاولياء وما اشبه ذلك فان قيل الاية تدل على
ان الله تبارك وتعالى ما اراه الا بعض الايات وقال في حق ابراهيم صلعم
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض يدل على انه تعالى
اراه جميع الايات فيلزم ان يكون معراج ابراهيم افضل من معراج محمد صلعم
اجيب بان ملكوت السموات والارض بعض ايات الله تعالى ايضا
مخصوصا والبعض المطلق افضل من البعض المخصوص اذ المطلق
ينصرف الى الكامل والجواب المشهور عنه هو ان بعض ايات الله تعالى

افضل من ملكوت السموات والارض انتهى وقوله تعالى انه هو
السميع البصير الصحيح ان الضمير في انه لله تبارك وتعالى اي
انه هو السميع البصير بافعاله قال بعض المحققين ولا يبعد ان
يرجع الى العبد وهو النبي صلى الله عليه وسلم كما نقله ابو البقا
عن بعضهم قال انه هو السميع لكلامنا البصير لذاتنا وامانسق
ضمير الفصل فللاشعار باختصاصه بهذه الكرامة وجعل ولعل
السر في مجئ الضمير محتملا للامرين للاشارة الى انطلاقه وانه
صلى الله عليه وسلم انما راى رب العزة به وسمع كلامه قال الماوردي
في الحكمة بالاتيان بالسميع البصير هنا وجهان احدهما انه تعالى
وصف نفسه بهما وان كانا من صفاته اللازمة لذاته في الاحوال
كلها لانه حفظ رسوله عند الاسراء به في ظلمة الليل فلم يضره
ان لا يبصر فيها وسمع دعايه فاجابه الى ما سال الثاني ان قومه لما
كذبوه حين اخبرهم باسرائه فقال السميع يعني لما يقولونه من
تصديق او تكذيب البصير فيما يفعله من الاسراء والمعراج انتهى
وهذا بناء على ان الضمير لله تعالى وعليه فالسميع هو الذي لا
يعزب عن دركه مسموع وان خفي فيعلم السر والنجوى بل ما هو ادق
واخفى يدرك دبيب النملة السودا في الليلة الظلما على الصخرة
الصما يسمع بغير اصمخة واذان وسمعه منزه عن ان يتطرق اليه
الحدثان فالسمع في حقه عبارة عن صفة تنكشف بها كمال نعوت
المصنوعات والبصير هو الذي يشاهد ويرى ولا يعزب عنه ما
تحت الثرى ابصاره منزه عن ان يكون بحدقة واجفان مقدس عن

لا قول الجمهور

الصنائع

12

انطباع الصور والالوان في ذاته تعالى كما تنطبع فيه حدقة
الانسان فالبصر في حقه عبارة عن الصفة التي تنكشف بها
كمال نعوت المصنوعات وقد ختم تعالى وتقدس الاية الدالة
على اسرايه صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بها بهاتين الصفتين
العظيمتين لما ذكرنا فان قلت الاسراء والمعراج كانا في ليلة
واحدة فهلا اخبرهم سبحانه وتعالى بعروجه الى السماء قلت استدرجهم
الى الايمان بذكر الاسراء اولا فلما ظهرت امارات صدقه ووضحت
لهم براهين رسالاته واستانسوا بتلك الاية الخارقة اخبرهم بما
هو اعظم منها وهو المعراج فحدثهم النبي صلعم به وانزل الله تعالى
في كتابه في سورة والنجم فقال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم والنجم
اذا هوى الايات والكلام على بعض فوايد ذلك يطول المالك
فقوله تعالى والنجم اذا هوى سبب نزولها كما قاله المفسرون قول
المشركين ان محمدا اختلق القران ومناسبتها لاخر ما قبلها ظاهرة لانه
لانه تعالى قال ام يقولون تقوله اي اختلق القران فنسبوه
الى الشعر وقالوا هو كاهن هو مجنون فاقسم تعالى في اول هذه
السورة انه ما ضل وانه ما اتى به هو الوحي من الله تعالى
والنجم مكية بالاجماع وهي اول سورة نزلت فيها سجدة واول
سورة اعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرائتها في الحرم و
المشركون يستمعون وفيها سجد وسجد المومنون والمشركون
والجن والانس غير ابي لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته
وقال يكفي هذا كذا وقع في عبارة بعض المفسرين كابي حيان و

السبكي غير ابي لهب وهو غريب ففي رواية الشيخين وغيرهما عن
ابن مسعود وسجد الناس كلهم الا رجلا رايته اخذ كفا من تراب
فسجد عليه فرايته قتل كافرا وهو امية بن خلف وفي رواية عن
ابي شيبة الا رجلين من قريش ارادا بذلك الشهرة وسمي احد المبهمين
امية بن خلف المتقدم والثاني الوليد بن المغيرة كما عند ابن سعد
وقال التقي السبكي في تفسيره وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي
لهب وكان تحته ابنة رسول الله صلى الله وسلم اراد ان يخرج الى
الشام فقال لاتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم
اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجهه ورد عليه ابنته
وطلقها فقال رسول الله صلعم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما اغناك يا ابن اخي عن هذه
الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا
فاشرف عليهم من الدير راهب فقال ان هذه ارض مسبعة فقال
ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على
ابني دعوة محمد فجمعوا اجمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة
فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله انتهى كذا
وقع عتبة بالتكبير وهو مشكل لان عتبة بن ابي لهب اسلم يوم الفتح
هو واخوه معتب وشهدا حنينا والطائف والظاهر ان الذي وقع له ذلك
هو عتيبة بالتصغير ومات كافرا وكان عتيبة تزوج ام كلثوم و
عتبة تزوج رقية ثم طلقها ايضا لما اسلمت ولم يدخلا بهما وقد
تزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة وماتتا عنده والحديث

المذكور

المذكور قد ذكره في الكشاف كما ذكره السبكي والواو في والنجم
للقسم والنجم مقسم به فان قيل كيف اقسم بالنجم وهو مخلوق وقد
ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى اجيب عنه باوجه احدها
انه على حذف مضاف اي ورب النجم وكذا يقدر فيما شابهه الثاني
ان العرب كانت تعظم هذه الاشياء وتقسم بها فنزل القران
على ما يعرفونه الثالث ان الاقسام انما تكون بما يعظمه المقسم او
يجله وهو فوقه والله سبحانه وتعالى ليس فوقه شيء فاقسم تارة
بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على بارئ وصانع لان
ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل اذ يستحيل وجود مفعول بغير
فاعل وروى ابن ابي حاتم عن الحسن قال ان الله تعالى يقسم بما شاء من
خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله تعالى والقصد بالقسم تحقيق
الخبر وتوكيده فان قيل فما معنى القسم منه تعالى فانه ان كان لاجل
المؤمن فهو مصدق بمجرد الاخبار من غير قسم وان كان لاجل الكافر
فلا يفيده اجيب بان القران نزل بلغة العرب ومن عادتها اذا ارادت
توكيد امر واجاب الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى بان الله
تعالى ذكر القسم لكمال الحجة وتاكيدها وذلك ان الحكم يفصل
باثنين اما بالشهادة واما بالقسم فذكر تعالى في كتابه النوعين
حتى لا يبقى لهم حجة قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولو العلم وقال تعالى قل اي وربي انه لحق وعن بعض الاعراب
انه لما سمع قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب
السماء والارض انه لحق صاح وقال من ذا الذي اغضب الجليل

حتى الجاه الى اليمين وقد اختلف المفسرون في المراد بالنجم هنا
على اقوال احدها ان الجملة من القران اذا نزلت وكلما نزل منه شيء في
وقت فهو نجم قال ابن عباس في تفسير هذه الآية اقسم بالقران
اذا نزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع آيات وثلاث آيات
وسورة وكان بين اوله وآخره عشرون سنة وهو قول مقاتل
والضحاك ومجاهد والهوى على هذا القول النزول من اعلى الى
اسفل وعلى هذا فيسمى القران نجما لتفرقه في النزول والعرب تسمي
التفريق تنجيما والمفروق نجوما قال الرازي ففي هذا القسم استدلال
بمعجزة النبي صلعم على صدقه وهو قوله تعالى يس والقران الحكيم انك
لمن المرسلين ثانيها انه عنى بالنجم الثريا والعرب تطلق اسم النجم على
الثريا خاصة فلا يذكرونه بالاطلاق الا لها قال قائلهم طلع
النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وقال ايضا طلع النجم غديه ابتغى
الراعي شكيه يعني الثريا وهي تطلع العشا في الثلث الاخير من فصل
الخريف قبل الشتاء بشهر وذلك مبادي قوة البرد لان آخر كل فصل
شبيه بالذي بعده فلهذا طلب الراعي الكساء وتطلع بالغداة في
الصيف وقت اوان اللبن فلهذا طلب الراعي الشكيه تصغير شكوة
وهي جلد الوضيع تجعل للبن اصغر من الرطب وفي الحديث ما طلع نجم
قط وفي الارض من العاهة شيء الا ارتفع رواه الامام احمد واراد
بالنجم الثريا وقد صار النجم عند الاطلاق علما على الثريا بالغلبة ولا
يكون علما على الثريا الا بالالف واللام فاذا اخرجت منه الالف واللام
صار نكرة واطلقوا على الثريا نجما وان كانت الجماعة لا بد ربيها هي

سبعة

سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الله به ابصارهم
وقال غيره اختلفوا في عددها وذكر القاضي عياض في الشفا
انه صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما وذكر
السهيلي انه صلعم كان يرى فيها اثني عشر نجما وقال القرطبي
في كتاب اسماء النبي صلى الله عليه وسلم وصفا انها لا تزيد
على تسعة انجم فيما يذكرون وهذا القول الثاني وهو ان المراد بالنجم
الثريا قاله ابن عباس ومجاهد في رواية عنهما واختاره ابن
جرير والزمخشري وقال السمين انه الصحيح ثالثها ان النجم
اسم جنس والمراد النجوم كلها وهذا قاله الحسن ومجاهد
قال الرازي ومناسبة ذلك ان النجوم يهتدى بها فاقسم
بها لما بينها من المشابهة والمناسبة رابعها ان المراد بالنجم
الرجوم من الشياطين يعني بها ترمى به الشياطين وتسقط
في آثارهم عند استراقهم السمع وهذا قاله ابن عباس والحسن
قال ابن كثير وهذا القول له اتجاه وقال الواحدي وهذا
القول ظاهر ونحن نشاهد هوي النجم اذا رمي به قال الماوردي
وسببه ان الله لما اراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا
كثر انقضاض الكواكب قبل مولده فذعر اكثر العرب منهم وفزعوا
الى كاهن لهم ضرير كان يخبرهم بالحوادث فسألوه عنها فقال
انظروا البروج الاثني عشر فان انقض منها شيء فهو ذهاب
الدنيا وان لم ينقص منها شيء فسيحدث الله تعالى في الدنيا
امرا عظيما واستشعروا ذلك فلما بعث رسول الله صلعم كان

هو الأمر العظيم الذي استشعروه فانزل الله والنجم اذا هوى
هو لهذه النبوة التي حدثت وقال ابن القيم انه اظهر الأقوال
ووجهه بان الله اقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي
نصبها آية وحفظا للوحي من استراق الشياطين على ان ما اتى
به رسوله حق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد حرس بالنجم
اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا له فالارتباط بين المقسم
به والمقسم عليه في غاية الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم
عليه خامسها ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم اذا هوى نزل
ليلة المعراج وهذا قاله جعفر الصادق كما نقله القاضي عياض رضي عنه
قال بعضهم ويعجبني هذا القول لبلاغته من وجوه فانه صلعم
نجم هداية خصوصا لما اهدي اليه من فرض الصلاة في تلك
الليلة وقد علمت منزلة الصلاة من الدين ومنها انه اضا في السماء
والارض ومنها التشبيه بسرعة السير ومنها انه كان ليلا وهو
وقت ظهور النجم فهو لا يخفى عن ذي بصر واما ارباب البصائر فلا
يمترون كابي بكر الصديق رضي الله عنه انتهى وفي ذلك اقوال
اعرضنا طلبا للاختصار ولظهور هذه وقوتها عليها وقوله
اذا هوى اي سقط من علو الى سفل فعلى القول الاول بانه القرآن
فالمعنى اذا نزل وعلى القول بانه الثريا او جميع النجوم فالمراد بالهوي
السقوط في مغاربها من الافق وعلى القول بانها الرجوم فالمراد
بالهوي الرمي بها وعلى القول بانه النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد
بالهوي نزوله ليلة المعراج فان قيل ما العامل في اذا وهل هي

شرطية اولا واذا كانت شرطية فاين جوابها اجيب بان الظاهر
انها ظرفية محضة لا شرطية والعامل فيها فعل القسم المحذوف
وتقديره اقسم بالنجم وقت هويه قاله ابو البقا وغيره وهو
مشكل فان فعل القسم انشا والانشا حال واذا لما يستقبل
من الزمان فكيف يتلاقيان قال الطيبي نقلا عن المقتبس الوجه
ان اذا قد انسلخ عنها معنى الاستقبال وصارت للوقت المجرد ونحوه
اتيتك اذا احمر البسر اي وقت احمراره فقد عري عن معنى الاستقبال
وصارت للوقت لانه وقت الغيبة عنه بقوله اتيتك واما ان يكون
العامل في اذا نفس والنجم الذي اريد به القرآن قاله ابو البقا وفيه
نظر اذا اريد به انه الاسم لهذا الكتاب المخصوص وقد يقال ان النجم
بمعنى المنجم كانه قيل والقرآن المنجم في هذا الوقت قال التقي السبكي
في تفسيره ويحتمل ان يؤخذ من فعل القسم معنى التعظيم ويجعل
هذا العامل في اذا ويحتمل ان يقال ان اذا شرطية على بابها وجوابها
محذوف يدل عليه القسم لكن تقديره مخبر لا انشاء وجملة الشرط
وجوابه المحذوف معترضة بين قوله والنجم وقوله ما ضل صاحبكم
قال الامام الرازي الفائدة في تقييد القسم بالنجم بوقت هويه
انه اذا كان في وسط السماء بعيدا عن الارض لا يهتدي به الساري
لانه لا يعلم به المشرق من المغرب من الشمال واذا زال تبين بزواله ولا اليمين
تمييز جانب من جانب كذلك النبي صلى الله عليه وسلم خفض جناحه
للمؤمنين وكان على خلق عظيم وخص الهوي دون الطلوع بعموم
الاهتداء به في الدين والدنيا اما الدنيوي فلما ذكر واما الديني

فكما قال الخليل صلعم لا احب الأفلين وفيه لطيفة وهي ان القسم
بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان من المشركين من يعبده فنبه على عدم
صلاحيته للألهية بهويه وافوله قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما
غوى هذا جواب القسم قال الزمخشري والضلال نقيض الهدى والغي
نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى
الضلال والغي ان الضلال اعم استعمالا في الموضع تقول ضل بعيري
ورحلي ولا تقول غوى فالمراد من الضلال ان لا يجد السالك الى
مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى المقصد المستقيم
والضال كالكافر والغاوي كالفاسق والمعنى انه على الطريق و
ان طريقه مستقيم قال بن القيم نفى الله سبحانه وتعالى عن رسوله
الضلال المنافي للهدى والغي المنافي للرشاد ففي ضمن هذا النفي
الشهادة له بانه على الهدى والرشد فالهدى في علمه والرشد في
عمله وهذان الأصلان هما غاية كمال العبد وبهما سعادته وصلاحه
وقوله صاحبكم يعني به النبي صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش و لفظة
صاحب تضاف تارة الى المصحوب الأدنى كما هنا وتارة الى الأعلى كقولنا
صاحب رسول الله صلعم وتامل كيف قال صاحبكم ولم يقل محمدا
تاكيدا لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله
واقواله وافعاله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال
ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه سبحانه وتعالى على ذلك
بقوله ام لم يعرفوا رسولهم وبقوله وما صاحبكم بمجنون قوله تعالى
وما ينطق عن الهوى نزلت لما قالت قريش ان محمدا تقول القران من

واي ما يخصه تحقيق الفرق بين الضلال والغي

تلقاء نفسه وقوله وما ينطق عن الهوى دليل على انه ما ضل و
ما غوى تقديره كيف يضل او يغوى ولو لا ينطق عن الهوى و
انما يضل من يتبع هواه ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبع فيضلك
عن سبيل الله وقال تعالى اولا ما ضل صاحبكم وما غوى بصيغة
الماضي وقال هنا وما ينطق بصيغة المضارع وهو ترتيب في
غاية الحسن اي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون وما غوى حين
اختلى بنفسه وما ينطق عن الهوى الآن حين ارسل اليكم وجعل
شاهدا عليكم فلم يكن اولا ضالا ولا غاويا وصار الآن منقذا من
الضلال ومرشدا وهاديا ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفي نطقه
عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا
لم يصدر عن هوى كيف ينطق به فتضمن نفي الامرين نفي الهوى
عن مصدر النطق ونفيه عن النطق فنطقه بالحق ومصدره
الهدى والرشاد لا الغي والضلال فعن على ذلك على بابها و هو
اولى ممن جعلها بمعنى الباء اي ما ينطق بالهوى اي ما يتكلم
بالباطل والهوى مقصور مصدر هويته من باب وهو ميله
من النفس الأمارة وانما سمي الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه
قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه الآية وقال تعالى ومن اضل
ممن اتبع هواه بغير هدى من الله الآية وقال صلى الله عليه وسلم
ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات خشية الله في السر و
العلانية والحكم بالعدل في الرضا والغضب والاقتصاد في
الغنى والفقر والمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء

برايه رواه البزار عن انس وقال صلى الله عليه وسلم ما تحت ظل السما
من اله يعبد من دون الله اعظم عند الله من هوى متبع رواه الطبراني
عن ابي امامة قيل كان على خاتم بعض الحكما من غلب هواه على عقله
افتضح وقال ابن دريد في مقصورته واقة العقل الهوى فمن علا
على هواه عقله فقد نجا • قوله تعالى ان هو الا وحي يوحى • قال الامام
الرازي وهذه تكملة للبيان وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال وما
ينطق عن الهوى كان قايلا يقول ثم ذا ينطق عن الدليل والاجتهاد
فقال لا انما ينطق عن حضرته بالوحي وهذا اللفظ ابلغ من ان لو قيل
هو وحي يوحى • وفيه فايدة غير المبالغة وهو انهم كانوا يقولون
هو قول كاهن هو قول شاعر فالمراد نفي قولهم وذلك يحصل
بصيغة النفي فقال ما هو كما يقولون وزاد بل هو وحي وكلمة
ان استعملت مكان ما للنفي كما استعملت ما للشرط مكان ان وهو
ضمير يعود على المصدر المفهوم من الفعل وهو ينطق اي ما نطقه
الا وحي يوحى • وهذا احسن من قول من جعل الضمير عايدا الى القران
كالكلبي ومقاتل وادعى فيه ابن عطية الاجماع فان عوده الى
القران عود على غير مذكور ولم يشمله جميع نطق النبي صلعم • و
عوده الى النطق المذكور يعم نطقه بالقران والسنة وان كلاهما
وحي وعلى عوده الى النطق هو بمعنى المنطوق به لان النطق لا
يوحى • وانما يوحى المنطوق به • واختار التقي السبكي ان يكون الذي
يعود عليه الضمير ما عنه النطق وفهم ذلك من قوله عن الهوى
لانه قال وما ينطق عن الهوى • ما ينطق الا عن وحي وسياق الكلام

ارشد

17

رشد الى هذا المعنى وقوله يوحى صفة لوحي وفايدة المجي بهذا
الوصف انه ينفي المجاز اي هو وحي حقيقة لا لمجرد تسمية كقول
هذا قول يقال وقيل تقديره يوحى اليه ففيه مزيد فايدة • و
استدل على ان جميع نطقه صلى الله عليه وسلم • بالقران والسنة
وحي بقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القران
والسنة ولكن القران وحي يتلى والسنة وحي لا يتلى وبما روى
الدارمي عن يحيى بن ابي كثير قال كان جبريل ينزل على النبي صلى
الله عليه وسلم • كما ينزل عليه بالقران ومثله مروي عن حسان
بن عطية وبما روى ابو داود وغيره من حديث المقدام بن معدي
كرب عن النبي صلعم • الا اني اوتيت القران ومثله معه وفي ٥
الصحيحين ان رجلا سال النبي صلعم • وهو بالجعرانة كيف ترى في
رجل احرم بعمرة في جبة بعد ما تضمخ بالخلوق فنظر اليه رسول الله
صلعم ثم سكت فجاءه الوحي ثم سري عنه فقال اين السايل
انفا فجيء به فقال انزع عنك الجبة واغسل اثر الطيب واصنع
في عمرتك ما تصنع في حجتك وروى الامام احمد عن عبد الله
بن عمرو رضي الله عنه • قال كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله
صلعم ورسول الله صلعم بشر يتكلم في الغضب والرضا فامسكت
عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله صلعم • فقال اكتب فوالذي
نفسي بيده ما خرج مني الا الحق وروى الامام احمد وغيره عن ابي
امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال ليدخلن
بشفاعة رجل واحد مثل الحيين او مثل احد الحيين ربيعة ومضر

فقال رجل يا رسول الله وما ربيعة ومضر قال انما اقول ما اقول
فقوله اقول الثاني بضم الهمزة وفتح القاف والواو المشددة
اي ما يقول الله تعالى من الوحي وقد احتج بهذا الامر من لم
ير الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وسلم واجيب عنه بانه اذا
اوحي اليه ان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا
قال البيضاوي وفيه نظر لان ذلك بالوحي لا الوحي اي يكون
ما يستند الى الاجتهاد بسبب الوحي لا نفس الوحي قال صاحب
الكشف هذا غير قادح لانه بمنزلة ان يقول الله تبارك وتعالى
لنبيه متى ما ظننت كذا فهو حكمي ورد بان الوحي هو الكلام الخفي
الذي يدرك بسرعة ولا يندرج الحكم الاجتهادي بما ذكره تحته
ولعل الاولى ان يندرج ما يثبت بالوحي فيه بعموم المجاز و
نظر فيه بان وصف الوحي بقوله يوحى لدفع احتمال المجاز ويف
فيا باه قوله علمه شديد القوى لان ما يستند الى الاجتهاد ليس من
تعليمه فليتأمل وقد منع الاجتهاد له صلعم طايفة وجوزه
قوم في الحروب والآراء دون الاحكام وتوقف فيه كثيرون و
الصحيح جوازه ووقوعه وهو قول الشافعي وابي يوسف رضي
الله عنهما وقد يتمسك المانع من ذلك بقوله تعالى وان احكم بينهم
بما انزل الله ويتمسك المجيز بقوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراك
الله وهو يحتمل لان يراد به انه اراه بالوحي ومن ادلة الوقوع
قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض عفا
الله عنك لم اذنت لهم عوتب على استبقا اسرى بدر بالفدا وعلى

بعنه الاية اي جعله هو راجعا الى النطق لا على جعله راجعا الى القران لانه اذا اي ان كل ما نطق به وحيا لا يكن للاجتهاد فيه مجال صح

الاذن

الاذن لمن ظهر نفاقهم في التخلف عن غزوة تبوك ولا يكون
العتاب فيما صدر عن وحي فيكون عن اجتهاد قال التقي
السبكي في تفسيره ومن اقوى ادلة القائلين بالوقوع يعني
في غير الحروب قول النبي صلى الله عليه وسلم الا الاذخر عقب
ما قيل لهم الا الاذخر ونحو ذلك وليس قاطعا لاحتمال ان يكون
اوحي اليه في تلك اللحظة قوله تعالى علمه شديد القوى اخبر سبحانه
وتعالى عن وصف من علمه الوحي بما يعلم انه مضاد لاوصاف
الشيطان معلم الضلالة والغواية وعلمه صفة للوحي اي علمه
اياها فان لها عائدة الى صاحبكم وهو النبي صلى الله عليه وسلم وهو
الظاهر ويكون المفعول محذوفا والتقدير علمه شديد القوى
صاحبكم النبي صلعم الوحي اي الموحى ويجوز ان يكون للوحي
فيكون المفعول الاول محذوفا اي علم الموحى شديد القوى
صاحبكم النبي وشديد القوى هو جبريل عليه السلم اي قواه
العلمية والعملية كلها شديدة وفي ذلك مدح المعلم وهو مدح
للمتعلم فلو قال علمه جبريل ما كان يحصل للنبي صلعم فضيلة
ظاهرة وفيه رد عليهم حين قالوا اساطير الاولين لم يعلمه
احد فقيل بل علمه شديد القوى وفيه الوثوق بقول جبريل
عليه السلام لوصفه بذلك وهو شديد القوى وهي تشتمل
العلمية والعملية وذلك مما يزيد المعلم وثوقا وقوة و
شديد القوى من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو
جبريل على قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال الحسن هو الله

اي هو شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانه اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها م

والشديد المبين الشدة والقوي جمع قوة وقد روي بن عساكره
عن معاوية بن قرة قال قال رسول صلعم لجبريل ما احسن ما اثني
عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ما
كانت قوتك وما كانت امانتك قال اما قوتي فاني بعثت الى مداين
قوم لوط وهي اربع مداين وفي كل مدينة اربعماية الف مقاتل سوى
الذراري فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع اهل السماء اصوات
الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما امانتي
فلم اومر بشي فعدوته الى غيره وقال محمد بن السايب من قوة جبريل
انه اقتلع مداين قوم لوط من الما الاسود فحملها على جناحه حتى
رفعها حتى اسمع اهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكهم ثم قلبها
ومن قوته ايضا انه ابصر ابليس يكلم عيسى بن مريم على بعض عقاب
الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاه باقصى جبل بالهند
ومن قوته هبوطه من السماء على الانبيا صلوات الله عليهم و
صعوده اليها في اسرع من طرفة عين قوله تعالى ذو مرة اي قوة
كما رواه الطبراني عن مجاهد ويويده قوله صلى الله عليه وسلم لا
تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي رواه الامام احمد وغيره
وقيل ذو جزالة في الراي وكمال في العقل وقال بن عباس رضي
الله عنهما ذو منظر حسن رواه جرير وقيل غير ذلك ولا تنافي
بين الاقوال لانه متصف بها صلعم وقال الفرا واصل المرة الفتل
تقول فتل الحبل مر اي محكم شديد الفتل وقد امر تارة بعضه
الى بعض في الفتل فان قيل على القول بتفسير المرة بالقوة وقد تقدم

كونه

كونه شديد القوي فكيف يكون قواه شديد وله قوة اجيب بان افراد
مرة بالذكر ربما يكون لبيان ان قواه المشهوره شديدة وله قوة
اخرى خصه الله تعالى بها على انا نقول المراد ذو شدة وهي غير
القوة وتقديره علمه من قواه شديدة وفي ذاته ايضا شدة
فان الانسان ربما يكون كثير القوة صغير الجثة او يقال
انه تعالى اراد بقوله شديد القوي اي قوة في العلم وبقوله
ذو مرة اي شدة في الجسم فقدم العلمية على الجسمية كما قال تعالى
وزاده بسطة في العلم والجسم قوله تعالى فاستوى وهو بالافق
الاعلى الفا سببية فان التشكل الذي فطر عليه سبب
على شدة قوته وقدرته على الخوارق او عاطفة على علمه اي علمه
على غير صورته الاصلية ثم استوى على صورته الاصلية
وهذا بناء على ان الضمير لجبريل وهو قول الجمهور يعني استقام
جبريل على صورته الحقيقية او ظهر في صورته التي خلقه الله عليها
لانه كان ياتي النبي صلعم في صورة الادميين كما ياتي الانبيا
فساله النبي صلعم ان يريه نفسه في الصورة التي خلقه الله
عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما
التي في الارض ففي الافق الاعلى وكان النبي صلعم بحرا فطلع
له جبريل من المشرق فسد الارض الى المغرب فخر النبي مغشيا
عليه فنزل عليه في صورة الادميين وضمه الى نفسه وجعل
يمسح الغبار عن وجهه فلما افاق النبي صلعم قال يا جبريل ما ظننت
ان الله تعالى خلق احدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد انما

لانه كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة
الادميين كما يأتي الانبياء فسأله النبي صلى الله
عليه وسلم ان يريه نفسه في الصورة التي
خلقه الله

نشرت جناحين من اجنحتي وان لي ستماية جناح سعة كل جناح
ما بين المشرق والمغرب فقال ان هذا العظيم فقال وما انا في
جنب ما خلق الله تعالى الا يسير ولقد خلق الله تعالى اسرافيل له
ستماية جناح كل جناح قدر جميع اجنحتي وانه ليتضائل بالضاد المعجمة
والهمزة احيانا من مخافة الله تعالى حتى يكون قدر الوصع بفتح
الواو والصاد وبالعين المهملتين يعني العصفور الصغير و
يدل على ذلك ايضا قوله تعالى ولقد راه بالافق المبين وهذه
الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الاسراء قبلها ورسول الله صلعم
في الارض اوايل البعثة بعد فترة الوحي كما قاله ابن كثير واما
التي في السما فعند سدرة المنتهى ليلة الاسرا كما سياتي في قوله
تعالى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى ولم ير جبريل عليه
السلام احد من الانبيا على تلك الصورة الا نبينا محمدا صلعم تلك
المرتين وقيل استوى بمعنى استولى بقوته على ما جعل له من الامر
وهو مبتدا عايد لجبريل كما تقدم وبالافق خبره والجملة حال من
فاعل استوى وانها جملة مستانفة اخبر الله تعالى بذلك والافق
بضمتين وبضمة فسكون مثل عسر وعسرا الناحية من الارض
ومن السما والجمع افاق والمراد به مطلع الشمس كما قاله مجاهد
ووصف الافق بالاعلى قال الواحدي ليس المراد بالاعلى في السما
وانما المراد جانب المشرق وهو فوق جانب المغرب فهو اعلى منه
في صعيد الارض لا في الهوى وقيل الضميران في استوى وفي
وهو لله تعالى وهو قول الحسن على معنى العظمة والقدرة والسلطان

قوله

قوله تعالى ثم دنى فتدلى الدنو هو القرب اما حسا واما معنى و
التدلي هو الامتداد من علو الى اسفل هذا اصله ثم استعمل في
القرب من العلو ويكون ايضا حسا او معنى فالقرب المستفاد
من التدلي اخص من القرب المستفاد من الدنو ولهذا يحسن عطفه
عليه وتقديم الدنو تقديما للاعم على الاخص وهذا اولى من
قول من قال ان هذا من التقديم والتاخير وان المعنى ثم تدلى
من الافق فدنى لان الاصل عدم ذلك واولى من قول من قال
ان معنى دنى فتدلى واحد لان التاكيد اولى من التاسيس وقيل
ان دنى بمعنى قصد القرب من النبي صلعم وتحول عن المكان الذي
كان فيه فتدلى فنزل الى النبي صلعم وقيل فتدلى اي فتدلل
كقوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتمطط والضمير المسند
اليه دنى فتدلى عايد الى جبريل كما قاله الجمهور اي دنى جبريل من
النبي صلى الله عليه وسلم بعد استوايه بالافق الاعلى من الارض فتدلى
على النبي صلعم والمعنى ان النبي صلعم لما راى من عظمة جبريل ما راى
وهاله ذلك رده الله تعالى الى الصورة التي كان يعتاد النزول
عليها وقرب من النبي صلعم وقال اخرون الضمير عايد الى الرب
اي دنى الرب سبحانه وتعالى من محمد صلعم فتدلى وهذا على سبيل
المجاز لان دنو الله من العبد ودنو العبد من الله بالرتبة والمكانة
والمنزلة واجابة الدعوة واعطاء المنية لا بالمكان والمسافة و
النقلة وهذا القول يحكى عن ابن عباس وانس رضي الله عنهم و
لم يقل احد ان المراد الدنو من الله حسا كما قد يتوهمه من يقول بالجهة

قال الجوهري [illegible] فعلى هذا [illegible]

بل بما ذكرناه من تعظيم المنزلة وتشريف الرتبة واشراق انوار
المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب والقدرة وبسط الانس و
الاكرام قال بن عطيه والصحيح عندي ان جميع ما في هذه
الايات هو جبريل بدليل قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى فان
ذلك يقتضي نزلة متقدمة وما روي قط ان محمدا راى ربه قبل
ليلة الاسرا انتهى قال الامام التقي السبكي ليس في قوله نزلة
اخرى صراحة بانها قبل ليلة الاسرا فقد يكون راه فيها مرتين
قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى القاب يطلق على ما بين
المقبض والسية من القوس والسية هي الفرضة التي توضع
فيها الوتر ولكل قوس قابان وقيل القاب حيث الوتر من
القوس قاله مجاهد ويطلق القاب ايضا في اللغة على القدر
والقوس وهي التي يرمى بها وقيل المراد بها الذراع لانه يقاس
به الشيء قال بعضهم وليس المراد في الاية القاب وانما المراد
القدر والقوس الذراع ورجح هذا القول بما اخرجه ابن مردويه
باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال القاب القدر و
القوسين الذراعين ويؤيده انه لو كان المراد القوس التي يرمى بها
لم يمثل بذلك ليحتاج الى التثنيه فكان يقال قاب رمح او نحو
ذلك وقد قيل ان المراد في الاية القوس ولكنه جا في الاية
على القلب والمراد فكان قابي قوس فقلبه لان لكل قوس قابين
بناء على انه ما بين المقبض الى السية وعلى كل ففي الاية مضافات
محذوفات ينظر لتقديرها اي فكان مقدار مسافة قربه منه

مثل

مثل مقدار مسافة قاب قوسين فان قلت من هو المحدث عنه
في الاية التي شبه قربه بقاب قوسين قلت هو جبريل كما نقله
القاضي عن الجمهور وقال الحافظ عماد الدين بن كثير انه هو
الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام اكابر الصحابة وقد روى
الشعبي عن مسروق قال قلت لعايشة رضي الله عنها ثم دنى
فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قالت ذاك جبريل قال
بن القيم لان جبريل هو الموصوف اذكر من اول السورة الى
قوله ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسر النبي
صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لعايشة قالت عايشة رضي
الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية
فقال ذاك جبريل لم اره في صورته التي خلقه الله فيها الا مرتين
رواه مسلم ولفظ القران لا يدل على غير ذلك ثم ساق وجوها
سبعة دالة على ذلك واما ما وقع في البخاري من رواية
شريك عن انس قال ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه
قاب قوسين او ادنى فقد تكلم الناس فيه وقالوا ان شريكا
خلط فيه وذكر فيه امورا منكرة لكن قال ابن القيم ان الدنو و
التدلي الذي في حديث شريك غير الذي في الاية وقال الامام
الرازي في تفسيره فكان قاب قوسين اي فكان بين جبريل
ومحمد صلعم مقدار قوسين او اقل وهما على استعمال العرب
وعادتهم فان الاميرين منهم او الكبيرين اذا اصطلحا او
تعاقدا خرجا بقوسيهما جعل كل واحد قوسه بطرف قوس صاحبه

[illegible]

ومن دونهما من الرقبة يكون كفه بكف صاحبه فيمدان ه
باعيهما لذلك فسمي مبايعة وقوله او ادنى قال ابن القيم او
هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة وانها لا تزيد على
قوسين البتة كما قال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
تحقيقا لهذا العدد وانهم لا ينقصون عن مائة الف رجل
واحد ونظيره قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي
كالحجارة او اشد قسوة اي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة
بل ان لم تكن دونها وهذا المعنى احسن والطف وادق من قول من
جعل او في هذا الموضع بمعنى بل ومن قول من جعلها للشك
بالنسبة الى الرائي ومن قول من جعلها بمعنى الواو فتامله
وادنى افعل تفضيل والمفضل عليه محذوف اي او ادنى من
قاب قوسين اي اقرب والمعنى فيما تقدرون انتم والا فالله
تعالى عالم بالاشياء على ما هي عليه لا تردد عنده ولكنه
خاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا اذا قدرنا الشيء
نقول هذا قدر رمحين او نقص فان قلت اذا كان القرب
المذكور بين جبريل وبين النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه
الجمهور فاي فائدة في ذلك وقد علمنا ان جبريل كان ياتي الى
النبي صلعم وفي بعض المرات اسند ركبتيه الى ركبتيه وهو اقرب
من قدر قوسين او قوس واحد وان اريد قرب المكانة منه ه
فمذهب اهل السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل
فكيف يذكر في سياق تشريفه ذكر مكانته منه قلت فلو ان جبريل

او يزيدون في التحقيق ه

مع عظمة اجرامه وكثرتها حتى سد الافق بجناحه دنى من
النبي صلى الله عليه وسلم في غير تلك الصورة حتى قرب منه
بعدما راه على الصورة الاولى وفي ذلك بيان قدرة الله
تعالى ومعنى الاية ذلك والله اعلم بمراده اما اذا كان القرب
فيما بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الله كما ذكرنا في حمل الاية
على الكناية ففيه فائدة عظيمة وبيان لشرف النبي صلعم وقد
سئل ابو العباس بن عطا عن هذه الاية فقال كيف اصف لكم
مقاما انقطع عنه جبريل وميكائيل واسرافيل ولم يكن الا
محمد وربه سبحانه وتعالى قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى
الضمير في اوحى الاول لجبريل على نسق ما تقدم وفي عبده لله
تعالى والمراد به محمد صلعم وفيه اضمار قبل الذكر لانه لم يتقدم
ذكر الله لكنه معلوم كقوله تعالى ما ترك على ظهرها اي الارض
من دابة فانه لم يجر ذكر الارض لكنه معلوم والضمير في اوحى
الثاني يجوز ان يكون لجبريل كما هو الموافق للنسق اي اوحى جبريل
لعبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى جبريل ففيه تفخيم
وتعظيم للموحى اليه ويجوز ان يكون لله اي اوحى جبريل لعبد الله
محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله اليه ويجوز ان يكون
الضمير في اوحى الاول لله والمراد بعبده هو محمد صلعم اي
اوحى الله الى عبده محمد صلعم ويجوز ان يكون المراد بعبده
جبريل عليه السلام اي اوحى الله الى عبده جبريل والضمير في
اوحى الثاني يجوز ان يكون لله اي اوحى الله الى عبده محمد ما

واختصاصه ه

ما اوحى الله اليه ففيه تفخيم وتعظيم ايضا للموحى ويجوز ان
يكون لجبريل اي اوحى الله لعبده محمد ما اوحى جبريل اليه فيكون
ايحاء الله اليه بواسطة جبريل وعلى ان المراد بعبده جبريل
فالضمير في اوحى الثاني لله فالمعنى اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى
الله اليه ففيه تفخيم ايضا وعلى ان المراد بعبده جبريل فالضمير
في اوحى الثاني له فالمعنى وحى الله لعبده جبريل ما اوحى جبريل
لمحمد صلى الله عليه وسلم او ما اوحى جبريل الى كل رسول لانه امين الله
على وحيه وما في ما اوحى يحتمل ان تكون مصدرية اعنى المراد
بها المصدر فيكون المعنى تفخيم الوحي الذي اوحاه ويحتمل ان
تكون موصولة اي الذي اوحاه اليه من الاحكام وغيرها
وقد اختلف في المراد بما اوحى على وجوه فقيل الصلاة وقيل
ان احدا من الانبيا لا يدخل الجنة قبلك ولا تدخل امة قبل امتك
وقيل ان ما للعموم والمراد كل ما جاء به جبريل وسئل ابو الحسين
الثوري عنه فقال اوحى اليه سرا بسر من سر في سر وعلى ذلك
يقول القائل • بين المحبين سر ليس يفشيه • قول ولا قلم للخلق
يحكيه • سر يمازجه انس يقابله • نور تحير في بحر من التيه
قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى اخبر تعالى عن تصديق فؤاده
لما راته عيناه بهذه الاية وقرا بتخفيف الذال من كذب وهو
متعد وما راى مفعوله وما موصولة والعائد محذوف اي
الذي راه وفاعل راى ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم و
الفؤاد هو القلب والمراد فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى

ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما راه محمد بعينه وان القلب
صدق العين وليس كمن راى شيئا على خلاف ما هو به فكذب
فؤاده بصره وقرا هشام وابو جعفر بتشديد الذال من كذب
اي ما كذب الفؤاد ما راه البصر ولم يقل ان ما راه البصر خيال
لا حقيقة له بل صدقه على ما راه هذا بناء على ان الرائي البصر واما
على القول بان الرائي الفؤاد فالمعنى ما كذب الفؤاد ما راه الفؤاد
اي لم يقل انه جن او شيطان بل تيقن ان ما راه بفؤاده صدق
صحيح وال في الفؤاد قال الرازي لتعريف ما علم حاله لسبق ذكر
محمد صلعم في قوله ما ضل صاحبكم وفي قوله فاوحى الى عبده
وقيل غير ذلك وقيل ان ال للجنس اي جنس الفؤاد ويكون المعنى
ما كذب الفؤاد ما راى محمد صلعم اي القلوب تشهد بصحة ما
راه محمد صلعم واختلفوا في المرئي ما هو فقيل جبريل راه و
له ستمائة جناح كما ثبت عن ابن مسعود في الصحيح في تفسير هذه
الاية وفي رواية عنه راى جبريل عليه السلام عليه حلتا رفرف اخضر
قد ملا ما بين السماء والارض كما رواها الفريابي والترمذي
وصححها وقيل المرئي الايات العجيبة وقيل المرئي هو الله تعالى
وهو قول ابن عباس وانس وابي امامة وغيرهم من الصحابة و
التابعين رضي الله عنهم ثم منهم من يقول راه بعينه وهو المشهور
عن ابن عباس رضي الله عنهما ومنهم من يقول راه بقلبه وهو
مروي عن ابن عباس ايضا وعن غيره وسياتي الكلام على رؤية
الله تعالى وما قيل فيها في الوجه التاسع والعشرين من فوائد

القصه انشاء الله تعالى قوله تعالى افتمارونه على ما يرى اكر سبحانه
وتعالى عليهم مكابرتهم وجحدهم له على ما يراه كما ينكر على الجاهل
مكابرته العالم وتمارأنه له على ما علمه فقال مبتديا بهمزة الاستفهام
الانكاري افتمارونه يعني افتجادلونه من المرا وهو الملاحاه
والمجادله واشتقاقه من مريت الناقة مريا اذا مسحت ضرعها
لتدر وعبر بالمفاعلة في هذه القراءة اشارة الى اجتهادهم
في تشكيكه لان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه اي
يستخرجه من مري الشيء استخرجه ومريت الفرس اذا استخرجت
ما عنده من الجري بسوط او غيره وكان من حقه ان يتعدى
بفي كقولك جادلته في كذا واذا ضمن معنى الغلبة تعدى
تعديتها بعلى وقرا حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه
بفتح التاء وسكون الميم من غير الف بعدها اي افتجحدونه من
مراه حقه اذا جحده واختار هذه القراءة ابو عبيدة لان
المشركين كان شانهم الجحد وهو اكثر من المماراة واختار غيره
القراءة الاولى لان الجحود كان منهم في هذا وفي غيره والذي
اختص به الاسراء المجادلة لانهم قالوا صف لنا بيت المقدس
واخبرنا عن عيرنا التي في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به
وايضا فقد يجحد الشيء من لا يجادل فيه ووضع الجدال ان
لا يكون الا من جاحد وان اتفق من غير جاحد فهو منصور
بصورة الجاحد فكان الجدال اخص من الجحود قال الزمخشري
وتبعه البيضاوي معنى افتمارونه افتغلبونه في المراء من ماريته

لمريته قال السبكي وهو معنى جيد وورود مريت بمعنى جحدت
في كلام العرب لا يدفع هذا لثبوت المعنيين لغة والتعدية بعلى
على معنى الغلبة واضح واما على معنى الجحد فلتضمنه معنى الغلبة
فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم وقال
سبحانه وتعالى على ما يرى بصيغة المضارع والرؤية قد مضت
فاما ان يكون وضع المضارع موضع الماضي كقوله تعالى و
اتبعوا ما تتلوا الشياطين في احدنا وثلاثة ومذهب سيبويه
جواز وضع المضارع موضع الماضي واما للاشارة الى انه ما نسي
كانه لم يهم ولم يلتبس عليه الامر في الرؤية وان مضت فهي
عتيدة عنده لتحققه بها وتيقنه ايها فكانه الان ينظر والمماراة
في الشيء الحاضر المعاين اخش واشد جهلا وقوله تعالى ولقد
رآه نزلة اخرى اخبر سبحانه وتعالى عن رؤيته لجبريل مرة بعد
اخرى فالمرة الاولى كانت دون السما بالافق الاعلى والثانية
هذه كانت فوق السماء عند سدرة المنتهى قال الحافظ ابن كثير
هذه المرة الثانية التي راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل
على صورته التي خلقها الله عليها وكانت ليلة الاسرا وقد
روى الامام احمد بسند حسن كما قاله الحافظ المذكور عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال قال راى رسول الله صلعم جبريل
على سدرة المنتهى له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق
تسقط من اجنحته التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم
واصل الحديث رواه مسلم انتهى واما المرة الاولى فكانت

بر اوائل البعثة كما تقدم والواو في ولقد عاطفة وجوز بعضهم
ان يكون للحال ورد بان اللام تنافي ذلك لانها جواب القسم والقسم
لا يكون حالا لان الحال خبر والقسم انشاء والضمير المرفوع المستتر في
في راه للنبي صلى الله عليه وسلم واما البارز المنصوب ففيه خلاف
حسبما تقدم فقال ابن مسعود وعايشة ومجاهد هو عايد على
جبريل وقال ابن عباس وكعب الاحبار هو عايد على الله تعالى
وقوله نزلة اخرى اي مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام
المرة ونصبت نصبها على الظرف اشعارا بان الروية في هذه
المرة كانت ايضا بنزول ودنو وحيث كان الضمير عايدا على
الله تعالى فالكلام في الدنو ما سبق من انه على سبيل المجاز
والمراد القرب المعنوي من الله تعالى مع تنزيهه سبحانه وتعالى
عن الجهات ولا يمتنع مع ذلك ان تتكرر رؤيته له في تلك
الليلة وقيل ان نزلة منصوبة نصب المصدر الواقع موقع
الحال والتقدير ولقد راه نازلا نزلة اخرى والى هذا ذهب
الحوفي وابن عطية والاول اقتصر عليه الزمخشري وصدر به
القاضي وحكى الثاني بقيل وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين
وهذا يعني الاول ليس مذهب البصريين وانما هو مذهب الفراء
ونقله عنه مكي وقيل ان نزلة منصوبة على المصدر المؤكد
وقدره ابو البقاء مرة اخرى او رؤية اخرى قال الشهاب الحلبي
المذكور وفي تأويله نزلة برؤية نظر وقوله اخرى يدل على سبق رؤية
قبلها وقد تقدم ما يدل على ذلك والمراد بالاثنان في هذه الآ

وهي ولقد راه الى اخره بالفصل المصدر باللام القسمية وكلمة قد
المفيدة للتحقيق نفي الروية عن المرة الاخيرة وقوله تعالى عند سدرة
المنتهى عند ظرف مكان لراه وظرف الفعل قد يكون فيه الفاعل
او المفعول او كلاهما ولا اشكال ان فيه ههنا النبي صلى الله عليه
وسلم وعند من يقول جبريل يصح ان يكون ظرفا له او لهما معا
والسدرة شجرة النبق راها النبي صلعم ليلة الاسرا ورأى
عندها جبريل في صورته الاصلية وهي في السماء السابعة كما في
حديث انس رضي الله عنه ووقع في حديث ابن مسعود انها في
السادسة وحديث انس هو قول الاكثر وهو الذي يقتضيه
وصفها بكونها التي ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب
وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله تعالى او من اعلمه ويترجح حديث
انس بانه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف وقيل جمع بينهما
بان اصلها في السادسة واغصانها وفروعها في السابعة
وليس في السادسة منها الا اصل ساقها قال مقاتل وهي عن
يمين العرش قال الخليل قد اظلت السموات والجنة قال بعضهم
وهي طوبى التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة الرعد وهي
شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام وفي الكشاف وهي في
رواية القصة سبعين عاما لا يقطعها ويستظل في الغصن
منها مائة الف راكب وورقها كآذان الفيل وثمرها كقلال
هجر يخرج من اصلها اربعة انهار نهران ظاهران النيل والفرات
ونهران باطنان في الجنة فيها فراش من ذهب لو وضعت

ورقة منها في الارض لاضات لاهل الارض وانما قيل لها
سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي عندها لا يجاوزها ولم
يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانه ينتهي
اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله لا يعدوها
وقيل ينتهي اليها علم الخلائق وعلم كل عالم لا يعلم ما وراءها
سعود الا الله تعالى وقيل لانه ينتهي اليها من مات على سنة
النبي صلعم وهم المومنون حقا وقيل غير ذلك والمنتهى اسم
مكان بمعنى موضع الانتها او مصدر ميمي بمعنى الانتها لانها
في منتهى الجنة وآخرها واضافة السدرة الى المنتهى اما من اضافة
الشي الى مكانه كقولك اشجار البلد كذا فالمنتهى حينئذ موضع
لا يتعداه ملك ولا روح من الارواح او من اضافة المحل الى
الحال فيه كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها او
فيها منتهى العلوم او المراد بالمنتهى هو الله تعالى وحينئذ يكون
التقدير المنتهى اليه قال الله تعالى وان الى ربك المنتهى فاضافة
السدرة الى المنتهى من اضافة الملك الى مالكه فالاضافة اليه كاضافة
البيت اليه للتشريف والتعظيم وسياتي في الوجه الخامس والعشرين
من فوائد القصة الكلام على السدرة ايضا وعلى ما يتعلق بها
قوله تعالى عندها جنة المأوى اي عند سدرة المنتهى جنة المأوى
وهذه الجملة تحتمل الحال والاستيناف والحال اظهر كما قال السبكي
وهي تعريف لموضع جنة المأوى وانها عند سدرة المنتهى وهي
عن يمين العرش كما تقدم وقال ابن عباس واكثر المفسرين جنة

المأوى

المأوى التي تأوي اليها ارواح الشهدا وقيل ان جبريل وميكائيل
عليهما السلام يأويان اليها وقيل أوى اليها آدم عليه السلام الى
ان اخرج منها وقيل انها ارواح المومنين كلهم في جنة المأوى
وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها وقالت عائشة رضي الله عنها
وزر بن حبيش جنة من الجنات وقال ابن عطية والجنات
كلها يأوي اليها المتقون واراد الله ان يعظم مكان سدرة
المنتهى بان الجنة عندها وفي ذلك تعظيم لمكانها وتشريف
له وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابو الدرداء وجماعة
من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم جنه المأوى بالهاء في
جنة فعلا ماضيا والهاء ضمير المفعول يعود للنبي صلى الله عليه
وسلم والمأوى فاعل اي ضمه وستره ايواء الله وجميل صنعه
وقد انكرت عائشة رضي الله عنها وجماعة معها هذه القراءة
وقالوا اجن الله من قراها واذا ثبتت قراءة عن هؤلاء فلا سبيل
الى ردها ولكن المستعمل انما هو اجنه رباعيا فان استعمله
ثلاثيا تعدى بعلى كقوله تعالى فلما جن عليه الليل قال ابو البقاء
هو شاذ والمستعمل اجنه قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما
يغشى قال ابن القيم لما ذكر الله سبحانه وتعالى رؤية محمد جبريل
صلى الله عليهما وسلم عند سدرة المنتهى استطرد منها وذكر ان
جنة المأوى عندها وانها يغشاها من خلقه وامره ما يغشى
وهذا من احسن الاستطراد وهو اسلوب لطيف جدا في القرآن
واذ ظرف زمان لرآه نزلة اخرى ويغشى السدرة اي يسترها

ومنه الغواشي او من معنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل وقت
اي ياتيني وفي التعبير بما تعظيم وتكثير لما يغشاها وقد علم بهذه
العبارة ان ما يغشاها من الدال على عظمة الله تعالى وجلاله ما لا
يكتنهه النعت ولا يحيط به الوصف وقد جا بيانه في حديث
صحيح مسلم وغيره كما رواه بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم
مرفوعا الى النبي صلعم قال رايت السدرة يغشاها فراش من ذهب
ورايت على كل ورقة ملكا يسبح الله وقيل ملائكة يغشونها
كانهم طيور يرتقون اليها متشوقين متبركين بها زائرين كما
يزور الناس الكعبة واخرج عبد بن حميد عن سلمة ابن وهرام
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال استاذنت الملائكة الرب تبارك
وتعالى ان ينظروا الى النبي صلعم فاذن لهم فغشيت الملائكة السدرة
لينظروا الى النبي صلعم وروي مرفوعا غشيها نور من الله عز
وجل حتى ما يستطيع احد ان ينظر اليها وقيل لما غشيها ما
غشيها تحولت ياقوتا وزمردا وفي الحديث مرفوعا يغشاها
الوان لا ادري ما هي وقيل غير ذلك ولا يقال ان هذا كله
لان الله ابهم ما غشيها لان ما ثبت عن النبي صلعم لا كلام فيه
وما ثبت عن الصحابة يكون توقيفا لان مثله لا يقال بالراي
وانما اختيرت السدرة لهذه الامر دون سائر الاشجار لانها تختص
بثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة زكية فشابهت
الايمان الذي جمع قولا وعملا ونية فظلها كالعمل وطعمها كالنية
ورائحتها كالقول واما ما جا من الاحاديث في النهي عن قطع السدر

من قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو داود وغيره من
قطع سدرة صوب الله راسه في النار فمحمول على سدر الحرم كما زاده
الطبراني في رواية في قوله يعني من سدر الحرم او على من قطعه
من فلاة يستظل به بن السبيل والبهايم عبثا وظلما بغير حق
يكون له فيه على ما قاله ابو داود وقد روى البيهقي ان ابا ثور
سال الشافعي رضي الله عنه عن قطع السدر فقال لا باس به
وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اغسلوها بماء وسدر
وقد احتج المزني بما احتج به الشافعي رضي الله عنه من اجازة
النبي صلعم ان يغسل الميت بالسدر ولو كان حراما لم يجز
الانتفاع به والورق من السدر كالغصن وقد سوى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما حرم قطعه من شجر الحرم بين ورقه
فلما لم يمنع من ورق السدر دل على جواز قطع السدر قوله
تعالى ما زاغ البصر وما طغى وصف سبحانه وتعالى ونقدس
في هذه الاية ادب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام
وثبوته ونفى عنه ما يعرض للرائي الذي لا ادب له بين يدي
العظما اذا ورد على مقام يدهش فيه من التفاته يمينا
وشمالا ومجاوزة بصره الى ما بين يديه بقوله ما زاغ اي ما
مال والزيغ الميل بالبصر اي بصر النبي صلعم وما طغى اي
بصره اي ما تجاوز وامتد بصره امامه الى حيث ينتهي قال
ابن عباس رض ما زاغ البصر يمينا وشمالا ولا جاوز ما امر به
وكما ان معنى الاية وصف ادب النبي صلعم فهي متضمنة ايضا
متضمنة

لوصف قوة نظره ويقينه وقلبه لتحقيق الامر ونفي وجوه
الريب عنه فلم يلتفت جانبا يمينا ولا شمالا ولا قصر عن
كشف الامر وحقيقته ولا جاوز ولا مد بصره الى شيء غير المقصود
مما راه من الايات واستقبله من العجايب واثبت ما راه اثباتا
مستيقنا صحيحا وذلك غاية القوة والادب وما عدل عن
رؤية العجايب التي امر برؤيتها وسكن منها وما جاوز ما
امر برؤيته بل قام مقام العبد الذي وجب ادبه اطراقه و
اقباله على ما امر به دون التفاته الى غيره ودون تطلعه
الى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجاش وسكون القلب
وطمانينته وهذا غاية الكمال وقد نزه الله تعالى في هذه السورة
علمه عن الضلال وقصده وعمله عن الغي ونطقه عن الهوى
وفؤاده عن تكذيب بصره وبصره عن الزيغ والطغيان و
هكذا يكون المدح هكذا هكذا والا فلا لا قوله تعالى لقد راى
من ايات ربه الكبرى قد اكد الله سبحانه وتعالى ما ذكره في
هذه الاية بالقسم فقال لقد راى اي والله لقد راى اي
ابصر من ايات ربه وعجايبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج
ايات ربه الكبرى الدالة على قدرته وعظمته والايات جمع
اية وهي العلامة ووصفها بالكبرى لتميزها عن غيرها
ولبيان نوعها وايات الله لا تحصى ولعظم الايات الكبرى
فلا يحاط بها والشيء اذا لم يحط به فلا يدرك تعيينه فالكبرى
يجوز ان يكون مفعولا لراى ومن ايات ربه حال متقدم على

صاحبها

صاحبها وكلمة من للبيان لانه المناسب للمقام والتقدير لقد
راى الايات الكبرى من ايات ربه قال الشهاب الحلبي وهذا
هو الظاهر ويجوز ان تكون الكبرى على اعراب كونها مفعولا
نعتا لمفرد والتقدير لقد راى من ايات ربه الاية التي كبرها و
عظماها بجعل الاسراء وما فيه من العجايب كالشيء الواحد
ويجوز ان تكون الكبرى نعتا لايات ربه وهذا الجمع يجوز
وصفه بوصف المؤنثة الواحدة وحسنه هنا كونها فاصلة
لتوافق الفواصل ومن ايات ربه مفعول راى ومن للتبعيض
والتقدير لقد راى بعض ايات ربه الكبرى ويجوز على كون
الكبرى نعتا للايات ان يكون المفعول الثاني محذوف والتقدير
لقد راى شيئا عظيما من ايات ربه الكبرى ومشى على ذلك
البيضاوي وابهم بعضهم لان المقام يقتضي التعظيم وفيما
ذكر تعظيم للرائي واختلفوا في تعيين ما راه من تلك الاية
الكبرى فقيل جبريل في صورته قال الامام والظاهر ان
هذه الايات غير تلك لان جبريل وان كان عظيما لكن ورد في
الاخبار ان لله ملائكة اعظم منه والكبرى تانيث الاكبر
فكانه سبحانه وتعالى قال لقد راى من ايات ربه ايات
هي اكبر الايات وقيل المراد السدرة ويحتمل ان ما راه
حين رقي به الى السموات وما فوقها من عجايب الملكوت
وغير ذلك واما قول القرطبي وقيل هو ما راه تلك الليلة
في مسراه في عوده وبدئه وهذا احسن فانه يناسب قوله

عجيبه

للمرئي

في اية الاسرا لنريه من اياتنا قال الامام ما ملخصه وهذه
الاية تدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الله ليلة المعراج
وانما راى ايات ربه الله تعالى وفيه خلاف ووجه الدلالة
انه سبحانه وتعالى حقق قصة المعراج ههنا برؤية الايات
وقال في اواخر قصة الاسرا لنريه من اياتنا ولو كان راى
ربه لكان ذلك اعظم ما يمكن فكانت الاية للرؤية وكان
اكبر شيء هو الرؤية وقال ابن كثير وبهاتين الايتين استدل
من ذهب من اهل السنة الى ان الرؤية تلك الليلة
لم تقع لانه قال لقد راى من ايات ربه الكبرى ولو كان راى
ربه لاخبر بذلك ولقال ذلك للناس انتهى قلت لا دلالة
في عدم ذكر الرؤية في الايتين على عدم وقوعها لاحتمال
انها وقعت وكتمت خوفا من الانكار ومن توهم معارضتها
للدلايل الدالة على عدم وقوعها في هذه الدار ويحتمل
دخولها فيما راه من الايات الكبرى بل هي اكبرها ودل عليها
قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى ولقد راه نزلة اخرى كما
نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يثبت الرؤية ليلة
الاسرا ويستشهد بذلك وتابعه جماعة من السلف والخلف
وقد خالفه جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم
اجمعين وحيث انتهى الكلام على ذكر بعض فوايد هذه الايات
لشريفة فلنسق القصة على نسق واحد وان كانت ماخوذة
من احاديث متعددة ليكون ابهج للسامعين وانعش لقلوب

الموقنين ونتكلم على بعض فوايدها انشاء الله تعالى فنقول
بينما النبي صلى الله عليه وسلم عند البيت في الحجر مضطجعا
بين رجلين اذ اتاه جبريل وميكائيل ومعهما ملك اخر
فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاستلقوه على ظهره فتولاه منهم
جبريل وفي رواية فرج سقف بيتي فنزل جبريل فشق من ثغرة
نحره الى اسفل بطنه ثم قال جبريل لميكائيل ائتني بطست من
ماء زمزم كيما اطهر قلبه واشرح صدره فاستخرج قلبه
فغسله ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من اذى واختلف اليه
ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم ثم اتى بطست من ذهب
ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه في صدره وملاه حلما وعلما و
يقينا واسلاما ثم اطبقه ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة
ثم اتي بالبراق مسرجا ملجما وهو دابة ابيض طويل فوق
الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
مضطرب الاذنين اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا
هبط ارتفعت يداه له جناحان في فخذيه يحفز بهما رجليه
فاستصعب عليه فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال الا
الله تستحيي يا براق فوالله ما ركبك خلق اكرم على منه فاستحيى
حتى ارفض عرقا وقر حتى ركبها وكانت الانبياء تركبها قبله
وقال سعيد بن المسيب وغيره وهي دابة ابراهيم التي كان
يركب عليها للبيت الحرام فانطلق به جبريل وهو عن يمينه
وميكائيل عن يساره وعند ابن سعد كان الاخذ بركابه

جبريل وزمام البراق ميكائيل فساروا حتى بلغوا ارضا ذات
نخل فقال له جبريل انزل فصل هنا ففعل ثم ركب فقال
اتدري اين صليت يا محمد قال لا قال صليت بطيبة واليها
المهاجرة فانطلق البراق يهوي به ويضع حافره حيث
ادرك طرفه فقال له جبريل انزل فصل ففعل ثم ركب فقال
له جبريل اتدري اين صليت يا محمد قال لا قال صليت بمدين عند
شجرة موسى ثم ركب فانطلق البراق يهوي ثم قال انزل
فصل ففعل ثم ركب فقال اتدري اين صليت قال لا قال
صليت بطور سينا حيث كلم الله موسى ثم بلغ ارضا بدت له
قصور فقال له جبريل انزل فصل ففعل ثم ركب فانطلق البراق
يهوي به فقال له جبريل اتدري اين صليت قال لا قال صليت
ببيت لحم حيث ولد عيسى وبينما هو يسير على البراق اذ راى
عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت راه فقال
له جبريل الا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفئت شعلته
وخر لفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال جبريل
قل اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها
ومن شر ما ذرا في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن
الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق
بخير يا رحمن فانكب لفيه وانطفت شعلته فساروا واتى على قوم
يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما

كان فقال يا جبريل ما هذا قال هولاء المجاهدون في سبيل الله
تضاعف لهم الحسنات بسبع مائة ضعف وما انفقوا من شيء
فهو يخلفه ووجد ريحا طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة
قال هذه رائحة ماشطة بنت فرعون واولادها بينا هي تمشط
بنت فرعون اذ سقط المشط فقالت بسم الله تعس فرعون
فقالت بنت فرعون اولك رب غير ابي قالت نعم قالت فاخبر ابي
بذلك قالت نعم فاخبرته فدعاها فقال الك رب غيري قالت
نعم ربي وربك الله وكان للمراة ابنان وزوج فارسل
اليهم فراود المراة وزوجها ان يرجعا عن دينهما فابيا
فقال اني قاتلكما قالت احسانا منك الينا ان قتلتنا ان
تجعلنا في بيت فتدفننا جميعا قال ذلك لك بما لك علينا من
الحق فامر ببقرة من نحاس فاحميت ثم امر بها لتلقى فيها هي وولدها
فالقوا واحدا واحدا حتى بلغوا اصغر رضيع فيهم فقال يا اماه
قعي ولا تقاعسي فانك على الحق فالقيت هي وولدها قال و
تكلم اربعة وهم صغار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج
وعيسى بن مريم واتى على قوم ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت
كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال يا جبريل من هولاء
قال هولاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة ثم اتى
على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون
كما يسرح الابل والغنم وياكلون الضريع والزقوم ورضف
جهنم وحجارتها فقال من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين

الذين لا يؤدون صدقات اموالهم وما ظلمهم الله شيئا ثم اتى
على قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدور ولحم اخرى خبيث فجعلوا
ياكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ما هذا
يا جبريل فقال هذا الرجل من امتك تكون عنده امانات الناس
ولا يقدر على ادايها ويريد ان يحمل عليها واتى على قوم تقرض
السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت
لا يفتر عنهم فقال من هولاء يا جبريل قال هولاء خطباء الفتنة
يقولون ما لا يفعلون ومر بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون
وجوههم وصدورهم فقال من هولاء يا جبريل قال هولاء
الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم واتى
على حجر صغير يخرج منه نور عظيم فجعل النور يريد ان يرجع
من حيث يخرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال هذا
الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان
يردها وبينما هو يسير اذ دعاه داع عن شماله يا محمد انظرني
اسالك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل قال هذا داعي اليهود
اما انك لو اجبته لتهودت امتك وبينما هو يسير اذ دعاه
داع عن شماله يا محمد انظرني اسالك فلم يجبه فقال ما هذا
يا جبريل قال هذا داعي النصارى اما انك لو اجبته لتنصرت
امتك وبينما هو يسير اذا بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها
من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يا محمد انظرني اسالك
فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل قال تلك الدنيا اما

المراة الحلال الطيب فياتي امراة خبيثة فيبيت
عندها حتى يصبح والمراة تقوم من عند زوجها
حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى
تصبح ثم اتى على خشبة على الطريق لا يمر بها
ثوب ولا شي الا خرقته فقال ما هذا
يا جبريل فقال هذا مثل اقوام من امتك
يقعدون على الطريق فيقطعونه وراى رجلا
تقعدوا بكل صراط توعدون فقال من
يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال قد
اكل الربا ثم اتى على رجل قد
جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها وهو يزيد
عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا
الرجل من امتك تكون عنده

انك لو اجبتها لاختارت امتك الدنيا على الاخرة وبينما هو
يسير فاذا هو بشيء يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد
فقال من هذا قال هذا عدو الله ابليس اراد ان تميل اليه و
سار فاذا هو بعجوز على جانب الطريق فقالت انظرني يا محمد
اسالك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل قال انه لم
يبق من عمر الدنيا الا ما بقي من عمر العجوز وسار حتى اتى مدينة
بيت المقدس ودخلها من بابها اليماني ثم نزل عن البراق وربطه
بباب المسجد بالحلقة التي تربط بها الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وفي رواية ان جبريل اتى الصخرة فوضع اصبعه فيها فخرقها
وشدها البراق ودخل المسجد من باب فيه تميل الشمس و
القمر ثم صلى هو وجبريل كل واحد ركعتين فلم يلبث الا يسيرا
حتى اجتمع ناس كثير فعرف النبيين من بين قايم وراكع و
ساجد ثم اذن موذن واقيمت الصلاة فقاموا صفوفا
ينتظرون من يومهم فاخذ جبريل بيده فقدمه فصلى بهم
ركعتين وعن كعب رضي الله عنه فاذن جبريل ونزلت
الملايكة من السماء وحشر الله له المرسلين فصلى النبي صلى الله
عليه وسلم بالملايكة والمرسلين فلما انصرف قال جبريل يا محمد
اتدري من صلى خلفك قال لا قال كل نبي بعثه الله تعالى ثم اثنى
كل واحد من الانبيا على ربه ثناء جميلا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم كلكم اثنى على ربه وانا مثن على ربي ثم شرع يقول الحمد لله الذي
ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي

الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة اخرجت
للناس وجعل امتي وسطا وجعل امتي هم الاولون والاخرون
وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع ذكري و
جعلني فاتحا خاتما فقال ابراهيم صلى الله عليه وسلم بهذا
فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم ولحق النبي صلعم من العطش
اشد ما لحقه فجاء جبريل صلعم باناء من خمر واناء من لبن فاختار
اللبن فقال له جبريل اخترت الفطرة ولو شربت الخمر لغويت امتك
ولم يتبعك منهم الا القليل وفي رواية ان الانية كانت ثلاثة
والثالث فيه ما وان جبريل قال له لو شربت الما لغرقت امتك
وفي رواية ان احد الانية التي عرضت عليه كان فيها عسل
بدل الماء وانه راى عن يسار الصخرة الحور العين وسلم عليهن
فرددن عليه وسالهن فاجبنه بما تقر به العين ثم اتي
بالمعراج التي تعرج عليه ارواح بني ادم فلم تر الخلائق احسن
منه له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وهو من جنة الفردوس
منضد باللولو عن يمينه ملايكة وعن يساره ملايكة فصعد
هو وجبريل حتى انتهيا الى باب من ابواب سماء الدنيا يقال له باب
الحفظة وعليه ملك يقال له اسمعيل وهو صاحب سماء الدنيا
يسكن الهوى لم يصعد الى السماء قط ولم يهبط الى الارض الا يوم
مات النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه سبعون الف ملك
مع كل ملك جنده مائة الف ملك فاستفتح جبريل باب السماء قيل
من هذا قال هذا جبريل قال ومن معك قال محمد قيل اوقد

ارسل

ارسل اليه وفي رواية بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا
حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء
جاء ففتح لهما فلما خلصا فاذا فيها ادم عليه السلام كهيئة
يوم خلقه الله تعالى في صورته تعرض عليه ارواح الانبياء و
ارواح ذريته المومنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها
في عليين ثم تعرض عليه ارواح ذريته الكفار فيقول روح
خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين وعن يمينه اسوده و
باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله اسوده وباب يخرج منه
ريح خبيثة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر واذا نظر
قبل شماله حزن وبكى فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فرد
عليه السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح
فقال النبي صلعم يا جبريل من هذا قال ابوك ادم وهذه
الاسودة نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة واهل
الشمال منهم اهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا
نظر قبل شماله بكى وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة اذا
نظر من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي على
شماله باب جهنم اذا نظر من يدخله من ذريته بكى وحزن ثم
مضى هنيهة فوجد اكلي الربا واموال اليتامى والزناة وغيرهم
على حالة شنيعة بنحو ما تقدم واشنع ثم صعد الى السماء الثانية
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل اوقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه

الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جا
ففتح لهما فلما خلصا اذا هو بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى
بن ذكريا عليهم السلام شبيه احدهما بصاحبه بثيابهما وشعرهما
ومعهما نفر من قومهما واذا عيسى عليه السلام جعد مربوع
الى الحمرة والبياض سبط الراس كانما خرج من ديماس اي حمام
شبيه بعروة ابن مسعود الثقفي فسلم عليهما فردا عليه السلام
ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ودعياله بخير ثم
صعد الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل اوقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا
به واهلا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة و
نعم المجي جا ففتح لهما فلما خلصا فاذا هو بيوسف عليه السلام و
معه نفر من قومه فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح ودعا له بخير واذا هو قد اعطي شطر الحسن وفي
رواية احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة
البدر على ساير الكواكب قال من هذا يا جبريل قال اخوك يوسف
عليه السلام ثم صعد الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل اوقد ارسل
اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله من اخ ومن خليفة
فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جا ففتح لهما فلما خلصا فاذا
هو بادريس عليه السلام قد رفعه الله مكانا عليا فسلم عليه
فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا

له بخير قال من هذا يا جبريل قال هذا اخوك ادريس ثم صعد
الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل
قال ومن معك قال محمد قيل اوقد ارسل اليه قال نعم قيل
مرحبا به واهلا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم
الخليفة ونعم المجي جا ففتح لهما فلما خلصا فاذا هو بهرون
عليه السلام ونصف لحيته بيضا ونصف لحيته سودا
تكاد تضرب الى سرته من طولها وحوله قوم من بني اسرايل
وهو يقص عليهم فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعي له بخير فقال يا جبريل
من هذا قال هذا الرجل المحبب في قومه هارون بن عمران ثم
صعد الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل اوقد ارسل اليه قال
نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ
ونعم الخليفة ونعم المجي جا ففتح لهما فجعل يمر بالنبي والنبيين
معهم الرهط والنبي والنبيين معهم القوم والنبي والنبيين
ليس معهم احد ثم مر بسواد عظيم قال من هذا قيل موسى وقومه
ولكن ارفع راسك فاذا بسواد عظيم قد سد الافق من
ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل له هولا امتك وسوى هولا
سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فلما خلصا فاذا هو
بموسى بن عمران صلى الله عليه وسلم رجل ادم طوال كانه
من رجال شنوءة كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره

دونهما فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم
قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعى له بخير وقال يزعم
الناس اني اكرم على الله من هذا بل هذا اكرم على الله مني فلما
جاوزه النبي صلى الله عليه وسلم بكى فقيل له ما يبكيك قال
ابكي لان غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن
يدخل من امتي يزعم بني اسرائيل اني اكرم بني ادم على الله وهذا
رجل من بني ادم خلفني في دنيا وانا في اخرى فلو انه في نفسه
لم ابال ولكن معه امته ثم صعدا الى السماء الثانية فاستفتح
جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
اوقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله من
اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جا ففتح لهما
فلما خلصا فاذا النبي صلى الله عليه وسلم بابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم جالس عند باب الجنة على كرسي مسند
ظهره الى البيت المعمور ومعه نفر من قوم فسلم عليه النبي
صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالابن
الصالح والنبي الصالح مر امتك فلتكثر من غراس الجنة فان
تربتها طيبة وارضها واسعة فقال وما غراس الجنة قال
لا حول ولا قوة الا بالله وفي رواية اقرئ امتك مني السلام
واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وان غراسها سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعنده قوم جلوس
بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم شي فقام

هولاء الذين في الوانهم شي فدخلوا نهرا واغتسلوا فيه فخرجوا
وقد خلص من الوانهم شي ثم دخلوا نهرا اخر فاغتسلوا فيه
فخرجوا وقد خلص من الوانهم شي ثم دخلوا نهرا فاغتسلوا
فيه فخرجوا وقد خلص من الوانهم شي فصارت مثل الوان
اصحابهم فجاوا فجلسوا الى اصحابهم فقال يا جبريل من هولاء
البيض الوجوه ومن هولاء الذين في الوانهم شي وما هذه
الانهار التي دخلوها فقال اما هولاء البيض الوجوه فقوم
لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما هولاء الذين في الوانهم شي فقوم
خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم واما
هذه الانهار فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث
سقاهم ربهم شرابا طهورا وقيل له هذا مكانك ومكان
امتك واذا هو بامته شطرين شطر عليهم ثياب كانها
القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد فدخل البيت المعمور ودخل
معه الذين عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون الذين عليهم
الثياب الرمد وهم على خير فصلى ومن معه من المومنين في البيت
المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون
اليه الى يوم القيمة وانه بحذا الكعبة لو خر لخر عليها ثم خرج
ومن معه وفي رواية انه عرضت عليه الانية الثلاثة المتقدمة
فاخذ اللبن فصوب جبريل فعله كما تقدم وقال كما في رواية
جبريل هذه الفطرة التي عليها امتك ثم رفع راسه الى سدرة
واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي

ما يهبط من فوق فيقبض منها واذا هي شجرة يخرج من اصلها
انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى يسير الراكب في
ظلها سبعين عامًا لا يقطعها واذا نبقها مثل قلال هجر واذا
اوراقها كاذان الفيلة تكاد الورقة تغطي هذه الامة وفي
رواية الورقة منها تظل الخلق على كل ورقة ملك فغشيها
الوان لا ادري ما هي فلما غشيها ما غشيها من امر الله تغيرت
وفي رواية تحولت ياقوتا وزبرجدا فما يستطيع احدًا ان
ينعتها من حسنها فيها فراش من ذهب واذا في اصلها
اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقال ما هذه
يا جبريل قال اما الباطنان نهران في الجنة واما الظاهران
فالنيل والفرات وفي رواية انه راى جبريل عند السدرة
وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يتناثر من
اجنحته التهاويل الدر والياقوت مما لا يعلمه الا الله تعالى
ثم اخذ على الكوثر حتى دخل الجنة فاذا فيها ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فراى على بابها مكتوبا
الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقال يا جبريل
ما بال القرض افضل من الصدقة قال لان السائل يسال و
عنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة فسار فاذا هو
بانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين و
انهار من عسل مصفى واذا رمانها كالدلا وفي رواية واذا

فيها رمان كانه جلود الابل المقتبة واذا بطيرها كالبخاتي
فقال ابو بكر يا رسول الله ان تلك الطير لناعمة قال اكلتها
انعم منها واني لارجو ان تاكل منها وراى نهر الكوثر على حافتيه
قباب الدر المجوف واذا طينه مسك اذفر ثم عرضت عليه النار
واذا فيها غضب الله وزجره ونقمته لو طرح فيها الحجارة و
الحديد لاكلتها فاذا قوم ياكلون الجيف فقال من هولاء يا جبريل
قال هولاء الذين ياكلون لحوم الناس وراى مالكا خازن
النار فاذا هو رجل عابس يعرف الغضب في وجهه فبدا النبي
صلى الله عليه وسلم بالسلام ثم اغلقت دونه ثم رفع الى سدرة
المنتهى فغشيته سحابة فيها من كل لون فتاخر جبريل ثم عرج
به حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام وراى رجلا
مغيبا في نور العرش فقال من هذا املك قيل لا قال نبي قيل
لا قال من هو قيل هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من
ذكر الله تعالى وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب لوالديه قط
فراى ربه سبحانه وتعالى فخر النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا
وكلمه ربه عند ذلك فقال له يا محمد قال لبيك يا رب قال
سل قال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما
وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت
له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت
له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح واعطيته ملكا
لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته

يبري الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذنك وأعذته وأمه
من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال الله
سبحانه وتعالى قد اتخذتك حبيبا قال الراوي وهو مكتوب
في التورية حبيب الله وارسلتك للناس كافة بشيرا ونذيرا
وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك
ذكرك لا اذكر الا ذكرت معي وجعلت امتك خير امة اخرجت
للناس وجعلت امتك وسطا وجعلت امتك هم الاولون و
الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك
عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم
وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واولهم يقضى له
واعطيتك سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك
واعطيتك الكوثر واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة و
الصدقة والصلوة وصوم رمضان والامر بالمعروف و
النهي عن المنكر واني يوم خلقت السموات والارض فرضت
عليك وعلى امتك خمسين صلاة فقم بها انت وامتك وفي
رواية واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة الخمس
وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله شيا من امته
المقحمات ثم انجلت عنه السحابة ولم يتبعه جبريل فانصرف سريعا
فاتى على ابراهيم فلم يقل شيئا ثم اتى على موسى قال ونعم الصاحب
كان لكم فقال ما صنعت يا محمد ما فرض عليك ربك وعلى امتك

قال فرض علي وعلى امتي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف عنك وعن امتك فان امتك
لا تطيق ذلك فاني قد خبرت الناس قبلك وبلوت بني
اسرائيل وعالجتهم اشد المعالجة على ادنى من هذا فضعفوا
وتركوه فامتك اضعف اجسادا وابدانا وقلوبا واسماعا
وابصارا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه
السلام يستشيره فاشار اليه ان نعم ان شئت فرجع سريعا
حتى انتهى الى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجدا وقال يا رب
خفف عن امتي فانهم اضعف الامم قال وضعت عنك خمسا
ثم انجلت السحابة ورجع الى موسى فقال وضع عني خمسا فقال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فلم
يزل يرجع بين موسى وبين ربه يحط عنه خمسا خمسا حتى قال
لبيك وسعديك قال هن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة
عشر فتلك خمسون صلاة لا يبدل القول لدي ولا ينسخ كتابي
ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له
عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيا فان عملها كتبت
سيئة واحدة فنزل حتى انتهى الى موسى فاخبره فقال ارجع الى
ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فقال قد
راجعت ربي حتى استحييت منه ولكن ارضى واسلم فنادى
منادٍ ان قد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي فقال له
موسى اهبط بسم الله ولم يمر على ملا من الملائكة الا قالوا عليك

بالجامة وفي رواية مررت بالجامة ثم انحدر فقال لجبريل مالي
لم آت اهل السما الا رحبوا بي وضحكوا الي غير واحد سلمت عليه
فرد السلام ورحب بي ودعي لي ولم يضحك لي قال ذلك
مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ولو ضحك لاحد لضحك
اليك فلما نزل الي سماء الدنيا نظر اسفل منه فاذا هو برهج ودخان
واصوات فقال ما هذا يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون
علي اعين بني آدم لا يتفكرون في ملكوت السموات والارض
ولولا ذلك لراوا العجايب ثم ركب منصرفا فمر بعير لقريش بمكان
كذا وكذا منها جمل عليه غرارتان غرارة سودا وغرارة
بيضا فلما حاذي العير نفرت واستدارت وصرع ذلك البعير
وانكسر ومر بعير قد ضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان فسلم عليهم
فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتي اصحابه قبل الصبح بمكة
فلما اصبح قطع وعرف ان الناس تكذبه فقعد حزينا فمر به عدو
الله ابو جهل فجا حتي جلس اليه فقال له كالمستهزئ هل كان
من شيء قال نعم قال ما هو قال اسري بي الليلة قال الي اين
قال الي بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم
يرانه يكذبه مخافة ان يجحد الحديث ان دعي قومه اليه فقال ارايت
ان دعوت قومك اتحدثهم بما حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب
بن لوي فانفضت المجالس وجاوا حتي جلسوا اليهما فقال
حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
اني اسري بي الليلة قالوا الي اين قال الي بيت المقدس قالوا
ثم

ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فمن بين مصفق ومن بين واضع
يده علي راسه متعجبا وضجوا واعظموا ذلك فقال المطعم
بن عدي كل امرك قبل اليوم كان امما غير قولك اليوم اشهد انك
كاذب نحن نضرب اكباد الابل الي بيت المقدس مصعدا شهرا و
منحدرا شهرا تزعم انك اتيته في ليلة واللات والعزي لا اصدقك
فقال ابو بكر رضي الله عنه يا مطعم بئس ما قلت لابن اخيك جبهته
وكذبته انا اشهد انه صادق فقالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس
كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل وفي القوم من
سافر اليه فذهب ينعت لهم بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل
كذا فما زال ينعت لهم حتي التبس عليه النعت فكرب كربا ما كرب
مثله فجي بالمسجد وهو ينظر اليه حتي وضع دون دار عقيل او
عقال فقالوا كم للمسجد من باب ولم يكن عدها فجعل ينظر اليه
ويعدها بابا بابا وابو بكر رضي الله عنه يقول صدقت صدقت
اشهد انك رسول الله فقال القوم اما النعت فوالله لقد
اصاب ثم قالوا لابي بكر افتصدقه انه ذهب الليلة الي بيت
المقدس وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه فيما هو ابعد من
ذلك اصدقه في خبر السماء في غدوة او روحة فلذلك سمي
ابو بكر الصديق ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا فقال اتيت
علي عير بني فلان بالروحا قد ضلوا ناقة لهم فانطلقوا في
طلبها فانتهيت الي رحالهم فليس بها منهم احد واذا قدح
ماء فشربت منه ثم انتهيت الي عير بني فلان بمكان كذا وكذا

فيها جمل وعليه غرارتان غرارة سودا وغرارة بيضا فلما
حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر ثم انتهيت
الي عير بني فلان في التنعيم يقدمها جمل اورق عليه مسح اسود
وغرارتان سوداوان وها هي تطلع عليكم من الثنية ٥
قالوا فمتي تجي قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت
قريش ينظرون وقد ولي النهار ساعة وحبست له الشمس
حتي دخلت العير فاستقبلوا الابل فقالوا هل ضل لكم بعير
قالوا نعم قال فسالوا العير الاخر فقالوا هل انكسر لكم ناقة حمرا
قالوا نعم قالوا فهل كان عندكم قصعة من ما فقال رجل انا
والله وضعتها فما شربها احد منا ولا اهريقت في الارض
فرموه بالسحر وقالوا صدق الوليد فانزل الله تعالى وما جعلنا
الرويا التي اريناك الا فتنة للناس ولنشرع في الكلام
علي بعض الفوايد المتعلقة بالاسرا والمعراج من عدة اوجه
الوجه الاول في كيفية الاسرا والمعراج وهل تكررا او لا
وقد اختلف في ذلك والذي ذهب اليه الجمهور من
المفسرين والمحدثين والفقها والمتكلمين الي انهما وقعا
في ليلة واحدة بالروح والجسد معًا في اليقظة لا في المنام
من مكة الي بيت المقدس الي السموات العلي الي سدرة المنتهى
الي حيث شا العلي الاعلي قال القاضي عياض وغيره وهو الحق الصحيح
وعليه تدل الاية نصًا وصحيح الاخبار الي السموات استفاضة
ولا يعدل عن الاخبار الواردة فيه ولا عن الحقيقة المتبادرة

الي الاذهان من الفاظها الي التاويل الا عند الاستحالة وتعذر
حمل اللفظ علي الحقيقة وليس في الاسرا بجسده وحال يقظته
استحالة توذن بتاويل اذ لو كان منامًا لقال سبحان الذي
اسري بروح عبده ولم يقل بعبده والعبد حقيقة هو الروح
والجسد كما تقدم ذلك ولو كان منامًا لما كان فيه اية
ولا معجزة خارقة للعادة تورث صدقه وان كانت رويا
الانبيا الانبيا وحيا اذ ليس فيه من الابلغية وخرق العادة
ما فيه يقظة وايضا لو كان منامًا لما استبعده المشركون
ولا كذبوه ولا ارتد به ضعفا من اسلم وافتتنوا به اذ مثل
هذا في المنام لا ينكر بل لم يكن منهم ذلك الاستبعاد والتكذيب
والارتداد والافتتان الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه
وحال يقظته وذلك بعيد عن ساحة العادة خصوصا وقوعه
في مثل ذلك الزمن مما يستبعد جدًا وذهب بعضهم الي ان الاسرا
كان في ليلة والمعراج في ليلة اخرى وقال ابن دحيه واليه
جنح البخاري لانه افرد لكل منهما ترجمة قال الحافظ ابن حجر
ولا دلالة في ذلك علي التغاير عنده بل كلامه في اول الصلوة
ظاهر في اتحادهما وذلك انه ترجم باب كيف فرضت الصلوة
ليلة الاسرا والصلوة انما فرضت في المعراج فدل علي اتحادهما
عنده وانما افرد كلًا منهما بترجمة لان كلا منهما يشتمل علي
قصة منفردة وان كانا وقعا معًا انتهى ونوبد وقوع
المعراج عقب الاسرا في ليلة واحدة رواية ثابت عند مسلم

اتيت بالبراق فركبت حتى اتيت بيت المقدس فذكر القصة الى
ان قال ثم عرج بنا الى سماء الدنيا وحديث ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه عن ابن اسحق فلما فرغت مما كان في بيت المقدس اتي
بالمعراج فذكر الحديث وذهب جماعة الى ان الاسرا كان بروحه
في المنام ويعزى هذا المذهب لمعاوية رضي الله عنه واحتج لذلك
بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والرؤيا
انما تطلق على ما كان مناما والظاهر ما في بعض الاحاديث من قوله
صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم في بعض الطرق فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام ويعزى هذا المذهب ايضا لعائشة رضي الله
عنها لما في حديث ابن اسحق من قولها ما فقد جسد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكن انما اسري بروحه واجيب عن هذه
الآية بان الرؤيا قد تكون بمعنى الرؤية في اليقظة كما نقل
عن ابن عباس رضي الله عنهما وبان قوله فتنة للناس يؤيد
انها رؤيا عين اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد وعن
قوله صلعم بينا انا نائم بان اول مجيء الملك اليه وهو نائم
فايقظه لا انه استمر نائما واما قوله فاستيقظت وانا بالمسجد
الحرام فمعناه افقت اي فاق مما كان فيه من شغل البال
بمشاهدة عجائب الملكوت ورجع الى عالم الملك فلم يرجع الى
حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام على ان الحديث الذي
ورد فيه ذكر النوم موهن فان العلماء رضي الله عنهم اتفقوا
على ان شريكا راويه اضطرب فيه وساء حفظه وزاد ونقص

وقدم واخر وعن ما يعزى لعائشة رضي الله عنها بانه لم يرد
بسند يصلح للحجة بل في سنده انقطاع وراو مجهول وبتقدير
صحته فعائشة رضي الله عنها لم تكن زوجة اذ ذاك ولا كانت
في سن من يضبط الامور وعلى القول بان الاسرا كان بعد
المبعث بعام لم تكن ولدت بعد فاذا لم تشاهد ذلك دل
على انها حدثت به عن غيرها فلم يرجح خبرها مع قول ام هاني
بخلافه وذهب جماعة منهم الامام ابو شامة الى تكرار الاسرا
والمعراج واحتج بما رواه البزار وغيره عن انس رضي الله عنه
من قصة في المعراج مخالفة لما تقدم في قصته قال الحافظ ابن
حجر ولا بعد في وقوع مثل ذلك في المنام وانما المستغرب
وقوع التعدد في قصة المعراج التي وقع فيها السؤال عن
كل نبي وسؤال اهل كل سماء هل بعث اليه وفرض الصلوات
الخمس وغير ذلك فان تعدد مثل ذلك في اليقظة لا يتجه
فيتعين رد بعض الروايات المختلفة الى بعض والترجيح الا
انه لا بعد في وقوع جميع ذلك في المنام ثم وقوعه في اليقظة
على وفقه انتهى وذهب جماعة منهم البغوي وجزم به
النووي في فتاويه الى ان الاسرا وقع مرتين مرة في النوم
ومرة في اليقظة قالوا وكانت مرة النوم توطئة له وتيسيرا
عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه امر
النبوة فانه امر عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك
الاسرا سهل عليه الرؤيا لان هوله عظيم فجاء في اليقظة

علي وفقه في المنام مقدمة وتوطئة رفقا من الله سبحانه وتعالى
بعبده وتسهيلا عليه الوجه الثاني في وقت الاسرا به ومكانه
اما وقت الاسرا فالصواب الذي اتفق عليه العلما رضي الله
عنهم ان الاسرا كان بعد البعثة واما ما وقع في بعض الروايات
انه جاء ثلاثة نفر قبل ان يوحي اليه وكانت تلك الليلة فلم
يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيحمل على ان المجي الثاني كان بعد ان
اوحي اليه وحينئذ وقع الاسرا والمعراج واذا كان بين
المجيئين مدة فلا فرق بين ان تكون قليلة او كثيرة قال الحافظ
بن كثير وهذا المحمل هو الاظهر وبه يرتفع الاشكال كما قاله
الحافظ بن حجر ويحتمل كما قال بعضهم ان يكون المعنى قبل ان
يوحي اليه في شان الاسرا والمعراج مثلا اي وقع ذلك بعد البعثة
قبل ان ينذر به واختلفوا في اي سنة كان فجزم جمع بانه كان
قبل الهجرة بسنة وجرى عليه النووي وبالغ بن حزم
فنقل فيه الاجماع وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه بن الاثير
وقال القاضي عياض قبل الهجرة بخمس سنين ورجحه بالاتفاق
على ان خديجة رضي الله عنها صلت معه بعد فرض الصلاة
وانها ماتت قبل الهجرة بثلاث او خمس ولا خلاف ان فرضها
ليلة الاسرا واجيب بان الصلاة التي صلتها معه هي التي
كانت اول البعثة وكانت ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي
وانما الذي فرض ليلة الاسرا الصلوات الخمس وماتت خديجة
قبل ذلك وقيل كان بعد البعثة بخمس سنين وقيل بخمسة

عشر

عشر شهرا وقيل بعام ونصف واختلفوا ايضا في اي الشهور
كان فجزم ابن الاثير وجمع منهم النووي في فتاويه كما في
النسخ المعتمدة بانه كان في ربيع الاول قال النووي ليلة
سبع وعشرين وجرى عليه جمع وفي بعض نسخ شرح مسلم
كما في الفتاوي وفي اكثر النسخ من شرح مسلم انه كان في ربيع
الاخر كما في بعض نسخ الفتاوي وقيل كان ليلة سبع وعشرين
من رجب وجزم به النووي في الروضة تبعا للرافعي وقيل
كان في رمضان وقيل كان في شوال وعين بعضهم اليوم
الذي اسفرت عنه تلك الليلة بانه يوم الاثنين وحاول
موافقة كون المولد يوم الاثنين وكون المبعث يوم الاثنين
وكون المعراج يوم الاثنين وكون الهجرة يوم الاثنين وكون
الوفاة يوم الاثنين قال فان هذه اطوار الانتقالات النبوية
وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة فهذه خمسة اطوار فيكون
يوم الاثنين في حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة في حق ادم
عليه السلام فيه خلق وفيه انزل الى الارض وفيه تاب الله عليه
وفيه مات وكانت اطواره الوجودية والدينية خاصة
بيوم واحد وروى ابن ابي شيبة عن جابر وابن عباس رضي
الله عنهم قالا ولد رسول الله صلعم يوم الاثنين وفيه بعث
وفيه عرج الى السماء وفيه مات وقولها وفيه عرج الى السماء
اراد ليلته لان الاسرا كان بالليل اتفاق واما مولده صلعم
فالصحيح انه كان نهارا كما قاله البدر الزركشي وقيل كان ليلا

فعليه المراد ايضا ليلته كما تقدم واما مكانه باعتبار البلد
المشهور انه بمكة شرفها الله تعالى ومن قال بالمدينة
فمحمول على التعدد في المنام وباعتبار المكان الخاص فيوخذ
من الاحاديث اقوال ففي رواية انه كان عند البيت وفي
اخرى في الحطيم وربما قال في الحجر والمراد بالحطيم هنا الحجر
كما قاله الحافظ ابن حجر وفي رواية فرج سقف بيتي وانا بمكة
وفي رواية انه اسري به من شعب ابي طالب وفي رواية انه
كان في بيت ام هاني قال الحافظ ابن حجر رحمه الله والجمع بين
هذه الاقوال انه نام في بيت ام هاني وبيتها عند شعب ابي
طالب ففرج عن سقف بيته واضاف البيت اليه لانه كان
يسكنه فنزل منه الملك واخرجه الى المسجد وكان
به مضطجعا وبه اثر النعاس ثم اخرجه الى باب المسجد فاركبه
البراق قال وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن اسحاق فاتاه
فاخرجه الى المسجد وهو يويد هذا الجمع انتهى وقال بعضهم
ليس بين قوله بينا انا في المسجد وبين قوله في بيتي او بيت ام
هاني تناف لانه قد يكون المراد بالمسجد الحرام الحرم كله انتهى
الوجه الثالث هل وقع الاسرا لغيره صلعم من الانبياء او هو
من خصوصياته صلى الله عليه وسلم اجاب العارف عبد العزيز
المهدوي بان مرتبة الاسرا بالجسم الى تلك الحضرات العلية
لم يكن لاحد من الانبيا الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى وقد
عد انه من خصائصه صلعم الحافظ الجلال السيوطي في خصائصه الصغرى

والكبرى

والكبرى الوجه الرابع قال ابن المنير كانت كرامته صلى الله عليه
وسلم في المناجا على سبيل المفاجات كما اشار اليه بقوله صلعم
بينا انا وفي حق موسى صلعم عن ميعاد واستعداد فحمل عنه
صلى الله عليه وسلم الم الانتظار ويوخذ من ذلك ان مقام
النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقام موسى مقام المراد
بالنسبة الى مقام المريد وقال ابن دحية في قوله صلعم فرج
سقف بيتي فقال لم لم يدخل عليه من الباب مع قوله تعالى واتوا
البيوت من ابوابها فالحكمة في ذلك المبالغة في المفاجاة
والتنبيه على ان الكرامة والاستدعا كانا على غير ميعاد والاشارة
الى ما سيقع من شق صدره والتيامه على الفور كيفية ما يصنع
به وقرب الامر له لطفا في حقه وتثبيتا لصبره وقال بعضهم
الحكمة في نزوله عليه من السقف التنبيه على ان المراد ان يعرج
به الى جهة العلو انتهى الوجه الخامس ان الرجلين اللذين كان
النبي صلى الله عليه وسلم نايما بينهما تلك الليلة حمزة وجعفر
رضي الله عنهما قال ابن ابي جمرة وفي هذا دليل على تواضعه صلعم
وحسن خلقه اذ انه في الفضل حيث هو ومع ذلك كان
يضطجع مع الناس ويقعد معهم ولم يجعل لنفسه الكريمة
مزية عليهم وفيه دليل على جواز نوم جماعة في موضع
واحد لكن يشترط في ذلك ان يكون لكل منهم ما يستر به جسده
عن صاحبه الوجه السادس فيما وقع في القصة من شق
صدره الشريف صلعم وقد انكر بعضهم وقوع ذلك ليلة

الأسرا وقال انما كان ذلك وهو صغير في بني سعد قال الحافظ
بن حجر وغيره ولا انكار في ذلك فقد تواردت به الاخبار
ووقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات الاولى وهو صغير
في بني سعد عند مرضعته حليمة الثانية عند البعثة الثالثة ليلة
الاسرا ولكل من الثلثة حكمة فالاولى التي كانت في زمن
الطفولية لينشأ على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان و
لعل هذا الشق كان سببا في اسلام قرينه المروي عند البزار
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما والثانية التي عند المبعث
زيادة في الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي على اكمل
الاحوال من التطهير والثالثة التي عند ارادة العروج
الى السماء ليتاهب للمناجاة قال الحافظ المذكور رحمه الله ويحتمل
ان تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ
بحصول المرة الثالثة كما هي في شرعه صلى الله عليه وسلم في
الطهارة قال بعضهم وهذه الحكمة من اعظم الحكم والطفها
وادقها وحقها ان تكتب بالذهب على صفحات القلوب لا ترتفع
محلها قال بعضهم قد يشق لداخل الحرم الشريف فما ظنك
بداخل الحضرة المقدسة فلما كان الحرم الشريف من عالم
الملك وهو ظاهر الكائنات انيط له الغسل بظاهر البدن
في عالم المعاملات ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم
الملكوت وهو باطن الكائنات انيط الغسل له بباطن البدن
في التحقيقات وقد عرج به صلى الله عليه وسلم لتفرض عليه

الصلوة

الصلاة وليصلي بملائكة السموات ومن شان الصلاة الطهور
فقدس ظاهرا وباطنا فهو صلى الله عليه وسلم وان كان
الله سبحانه وتعالى خلقه نورا منتقلا من الانبيا وفي
صفا النور ما يغني عن التطهير الحسي لكن الغسلة الاولى
لعلم اليقين والثانية لعين اليقين والثالثة لحق اليقين
وقد ورد ان صدره صلى الله عليه وسلم شق ايضا وهو ابن
عشر سنين فتكون المرات اربعا وذكر بعضهم في حكمة ذلك
ان العشر لما كان قريبا من سن التكليف شق صدره عليه
الصلاة والسلام وقدس حتى لا يلتبس بشي مما يعاب على الرجل
قال الحافظ بن حجر وما ذكر من شق الصدر واستخراج
القلب مما يجب التسليم له ولا يصرف عن حقيقته لصلاحية
القدرة فلا يستحيل شي من ذلك ويؤيده كما قاله بعضهم
الحديث الصحيح انهم كانوا يرون اثر المخيط في صدره صلعم
قال الحافظ ابن المنير رحمه الله وشق الصدر له صلعم
وصبره عليه من جنس ما ابتلي به الذبيح وصبر عليه بل هذا
اشق واجل لان تلك معاريض وهذه حقيقة وايضا
فقد تكرر ووقع له وهو رضيع بعيد من اهله صلعم و
قد اختلف هل كان شق الصدر وغسله مخصوصا به او
وقع في قصة تابوت بني اسرائيل انه كان فيه الطشت التي
تغسل فيها قلوب الانبيا وهذا مشعر بالمشاركة انتهى و
صحح الحافظ الجلال السيوطي في خصائصه الصغرى عدم

ووقع لغيره من الانبيا [illegible]
كما ذكره الحافظ بن حجر [illegible]
انتهى [illegible]
عند الطبري

المشاركة وانه من خصائصه صلى الله عليه وسلم وخالفه
تلميذه العلامة محمد الشامي فقال الراجح المشاركة واستند
لقصة تابوت بني اسرائيل من طريق السدي الكبير كما رواه
سعيد بن منصور وابن جرير بسند صحيح زيادة على ما تقدم
ثم قال ولم ار لعدم المشاركة ما يعتمد عليه بعد الفحص الشديد
قلت لكن يمكن ان يقال وقوع شق الصدر له صلعم مع تكرره
ثلاث مرات او اربع لم يشاركه احد من الانبيا فيه وعليه يحمل
كلام الجلال السيوطي واما مطلق شق الصدر فوقعت فيه
المشاركة لغيره من الانبيا ويحمل عليه كلام غيره ومستند
ما قلته ان تكرر شق الصدر له صلى الله عليه وسلم ثبت في
الاحاديث التي بعضها في الصحيحين ووقوع شق الصدر لغيره
انما اخذ من القصة المذكورة وليس فيها تعرض لتكرره هذا
ما ظهر والله اعلم واختلف هل وقع ذلك مع مشقة اولا
فقال الحافظ ابن حجر من غير مشقة وبه جزم ابن الجوزي
فقال فشقه وما شق عليه وقال ابن دحية بمشقة عظيمة
ولهذا انتقع لونه اي صار كلون النقع وهو الغبار وهذه
صفة الوان الموتى قال بعضهم رواية انتقع لونه حكاية
لما وقع له في المرة الاولى وهو صغير في بني سعد وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه في المرة الثانية وهو ابن عشر
ما يؤيد انه لم تقع له مشقة بعد المرة الاولى ووقع السؤال
هل كان شق صدره بآلة قال بعض المحدثين لم ار من تعرض له

بعد

بعد التتبع وظاهر قوله فشق انه كان بآلة انتهى الوجه
السابع في الحكمة في اختصاص الاتيان بطشت من ذهب
اما الطشت فلكونه اشهر آلات الغسل عرفا واما كونه من
ذهب فلانه اعلى الاواني واصفاها ولان فيه خواص ليست في
غيره منها انه من اواني الجنة وانه لا تاكله النار ولا التراب
ولا يصديه وانه اثقل الجواهر فناسب ثقل الوحي قال السهيلي
وابن دحية ان نظر الى لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب
الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه وان نظر الى
معناه ناسب لاضاته ونقايه وثقله والوحي ثقيل واما
تحريم استعماله فهو مخصوص باحوال الدنيا وذلك من احوال
الغيب فيلتحق بامور الآخرة وقال النووي رحمه الله ليس
في هذا الخبر ما يوهم جواز استعمال انا الذهب والفضة لان
هذا فعل الملئكة واستعمالهم ليس بلازم ان يكون حكمهم
حكمنا ولانه كان قبل تحريم النبي صلى الله عليه وسلم استعمال
اواني الذهب والفضة انتهى اي لان التحريم انما وقع في المدينة
كما نبه عليه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وهذا احسن من جوابه
الاول لانه تعقب بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن لم
يحرم عليه ذلك من الملئكة لانه لو كان قد حرم عليه استعماله
لنزه ان يستعمله غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم الوجه الثامن
يؤخذ من غسل قلبه صلى الله عليه وسلم بماء زمزم انه افضل
من ماء الكوثر لانه لم يكن يغسل قلبه الشريف الا بافضل المياه

قاله الامام البلقيني وقال ابن ابي جمرة انما لم يغسل بماء الجنة
لما اجتمع في زمزم من كون اصل مائها من الجنة ثم استقر في الارض
فاريد ابقا بركته صلى الله عليه وسلم في الارض انتهى وقيل
لان ما زمزم يقوي القلب ويسكن الروع قال الحافظ الزين
العراقي ولذلك غسل به قلبه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا
ليقوى على رؤية الملكوت الوجه التاسع في معنى ما ورد في
القصة انه لما استخرج قلبه الشريف صلعم فغسله ونزع ما
كان فيه من اذى وفي بعض الروايات انه اخرج منه علقة
سودا وقال هذا حظ الشيطان منك وقد سئل الامام التقي
السبكي عن العلقة السودا التي اخرجت من قلبه صلعم
حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فاجاب
رحمه الله تعالى بان تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر
قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه صلعم فلم
يبق فيه مكان لان يلقي الشيطان فيه شيا هذا معنى الحديث
ولم يكن للشيطان فيه حظ واما الذي نفاه الملك هو
امر في الجبلات البشرية فازيل القابل الذي لم يكن يلزم من
حصوله حصول القذف في القلب فقيل له فلم خلق الله
تعالى هذا القابل في هذه الذات الشريفة وكان يمكن ان
لا يخلقه الله تعالى فيه فقال انه من جملة الاجزاء الانسانية
فخلقه تكملة للخلق الانساني ولا بد منه ونزعه كرامة ربانية
طرات وقال غيره لو خلق الله نبيه صلعم سليما منها لم يكن

للآدميين

للآدميين اطلاع على حقيقته فاظهره الله على يد جبريل عليه
السلام ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر الوجه
العاشر في معنى كون الطشت مملوا حكمة وايمانا وافراغه
في الصدر مع ان الايمان والحكمة من الاعراض وهي لا توصف
بها الا محلها الذي تقوم به ولا يجوز فيها الانتقال لانه
من صفات الاجسام قال الامام النووي والحافظ ابن حجر
رحمهما الله المعنى جعل في الطشت شي يحصل به زيادة كمال
في الايمان وكمال الحكمة وهذا المملو يحتمل ان يكون على
الحقيقة وتجسد المعاني جائز كما جا ان سورة البقرة تجي
يوم القيمة كانها الظلة والموت في صورة كبش وكذلك
وزن الاعمال وغير ذلك وقد اختلف في تفسير الحكمة
على اقوال كثيرة قال النووي رحمه الله الذي صفي لنا منها
انها العلم المشتمل على معرفة الله تعالى مع نفاذ البصيرة
وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده
والحكيم من حاز ذلك وقوله فافرغه اي الطشت الممتلي
حكمة وايمانا في صدره المراد به القلب فسماه باسم ما هو
فيه وهو الصدر قال الشيخ الحافظ ابو محمد بن ابي
جمرة الحكمة في شق صدره مع القدرة على ان يمتلي ايمانا
وحكمة بغير شق الزيادة في قوة اليقين لانه اعطي
برؤية شق بطنه وعدم تاثره بذلك ما امن معه من
جميع المخاوف العادية فلذلك كان اشجع الناس حالا و

مقالا ولذلك وصف بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى
الوجه الحادي عشر في الحكمة في الختم بين كتفيه بخاتم النبوة
مع بعض الكلام على الخاتم المذكور وقدره قال الامام
السهيلي في وضع خاتم النبوة على جهة الاعتبار انه لما
ملأ قلبه ايمانا وحكمة ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء
مسكا او درا فجمع الله سبحانه وتعالى اجزاء النبوة لسيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتممه وختم عليه بختمه فلم
تجد نفسه ولا عدوه سبيلا اليه من اجل ذلك الختم لان الشيء
المختوم محروس وكذلك تدبير الله تعالى لنا في هذه الدار
اذا وجد احدنا الشيء بختمه زال الشك وانقطع الخصام فيما
بين الادميين فلذلك ختم رب العالمين في قلبه ختما يطمئن
له القلب التي النور فيه ونفذت فوق القلب فظهر بين كتفيه
كالبيضة وقد اختلف في موضع الخاتم من جسده فوقع
في بعض الاحاديث انه بين كتفيه وفي صحيح مسلم انه عند
نغض كتفه اليسرى وفي رواية شاذة انه عند غضروف
كتفه اليمين والنغض بنون تضم وتفتح فغين ساكنة فضاد
معجمتين اعلى الكتف عند الجمهور والغضروف بغين مضمومة
فضاد ساكنة معجمتين فرا وفا راس لوح الكتف ووقع
في حديث شداد بن اوس رضي الله عنه في مغازي ابن عائذ
في قصة شق صدره صلعم وهو في بلاد بني سعد بن بكر واقبل
وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه قال الحافظ

بن

ابن حجر وهذا يوخذ منه ان الختم وقع في موضعين من جسده
والعلم عند الله تعالى ومقتضى الاحاديث التي فيها شق
الصدر ووضع الخاتم انه لم يكن موجودا حين ولادته
وانما كان اول وضعه لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن
قال ولد به او حين وضع قال السهيلي والحكمة في كون
الخاتم عند نغض كتفه انه معصوم من وسوسة الشيطان
وذلك الموضع منه يدخل الشيطان يوسوس اي لان القلب
من تلك الجهة وقد اختلف في صفة خاتم النبوة على اقوال
كثيرة نحو عشرين قولا متقاربة المعنى ففي رواية انه مثل
زر الحجلة والزر واحد الازرار والحجلة واحد الحجال و
هي بيت كالقبة لها ازرار كبار وعرى كالبشخانة هذا
هو الاشهر في تفسير ذلك وفي رواية انه كجمع بضم الجيم
واسكان الميم اي كجمع الكف وهو صورته بعد ان تجمع
الاصابع وتضمها وفي رواية انه كبيضة الحمامة وفي اخرى
انه شعر مجتمع قال بعض العلماء اختلف اقوال الرواة في
خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كل شبه بما سنح له و
كلها الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر
فلان الشعر حوله متراكب عليه كما في الرواية الاخرى انه
شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متراكبات
كانها عرف الفرس وقال القرطبي دلت الاحاديث الثابتة
على ان خاتم النبوة كان شيئا بارزا احمر عند كتفه الايسر

اذ قيل كان قدر بيضة الحمامة واذكر كان جمع اليد وذكر
نحوه القاضي عياض وزاد واما رواية جمع الكف فظاهرها
المخالفة فتؤول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه
على هيئة جمع الكف لكنه اصغر منه في قدر بيضة الحمامة
واخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال لم
يبعث الله تعالى نبيا الا وقد كان عليه شامة النبوة في يده
اليمنى الا ان يكون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة
كانت بين كتفيه قال في المواهب وعلى هذا فيكون وضع
الخاتم بازاء قلبه مما اختص به عن سائر الانبياء والله اعلم
وذكر الحافظ مغلطاي في الزهر ان الحاكم روى في
تاريخه عن عائشة رضي الله عنها انها لمست الخاتم حين
توفي رسول الله صلعم فوجدته قد رفع انتهى والحكمة في
رفعه عند موته صلعم مع ان النبوة والرسالة باقيتان
بعد موته حقيقة لحياته في قبره كسائر الانبياء لانه لما
وضع لحكمة وهي تمام الحفظ والعصمة من الشيطان وقد
تم الامن منه بالموت فلم يبق لبقائه في جسده فائدة
الوجه الثاني عشر في الكلام على البراق وفي الحكمة في ركوبه
صلى الله عليه وسلم وفي حكمة استصحابه عند الركوب عليه
فالبراق بضم الموحدة وتخفيف الراء مشتق من البريق فقد جاء
في لونه انه ابيض او من البرق لانه وصف بسرعة السير او
من قولهم شاة برقاء اذا كان خلال صوفها الابيض طاقات

بين كتفيه

سود

سود ولا ينافيه وصفه في الحديث بالبياض لان البرقاء
من الغنم معدودة في البيض ويجوز ان يجمع بين المعنيين
فيسمى براقا للونه ولسرعة سيره ويحتمل ان لا يكون مشتقا
وقد ورد في صفته اقوال امثلها ما ذكر في القصة
عن ابن عباس رضي الله عنهما والسر في كون جناحيه
في فخذيه نقل موخر الدابة او لان ذلك جار على هذا الامر
في خرق العادة او لاجل الراكب لانهما لو كانا في جنبيه
على العادة لكان تحت فخذي الراكب او فوقهما ويحصل
له مشقة بضمهما ونشرهما خصوصا مع السرعة العظيمة
وفي بعض الاثار ان البراق ليس بذكر ولا انثى فاقتضى
ذلك ان يكون مفردا بالخلق بهذه الصفة من غير توليد وقد
قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لكن نقل الشيخ سعد الدين
ان الملائكة الكرام لا ذكور ولا اناث الى اخر ما ذكره وفي
اثر اخر ان جبريل خاطبه خطاب المؤنث قال ابن ابي جمرة
ما ملخصه وانما كان ركوب النبي صلى الله عليه وسلم على
البراق والقدرة صالحة لان يصعد بنفسه من غير براق
لكن البراق كان بشارة له في تشريفه لانه لو صعد بنفسه
لكان في صورة ماش والراكب خلاف الماشي وقال
ابن دحية ما ملخصه ايضا ولعل الاسرا بالبراق اظهارا
لكرامته العرفية فان الملك العظيم اذا استدعى وليا
له وخصيصا به واستخصه اليه بعث اليه بمركوب سني يحمله

عليه في وفادته الينا ولم يكن البراق بشكل الفرس ولكنه
بشكل البغل للاشارة الى ان الركوب في سلم وامن لا في
حرب وخوف او لاظهار المعجزة في الاسراع العجيب من دابة
ما يوصف شكلها بالاسراع الشديد عادة فان قيل هلا
كان الاسرا على اجنحة الملئكة او الريح كما كانت تحمل سليمان
عليه السلام او الخطوة كطي الزمان قلت المراد اطلاعه على
الايات الخارقة للعادة وما يتضمن امرا عجيبا ولا عجب في حمل
الملئكة او الريح بالنسبة الى قطع هذه المسافة بخلاف
قطعها على دابة في هذا الحجم المحكي عن صفتها ووقع في
تعظيمه من الملئكة ما هو اعظم من حمله على اجنحتها
فقط فقد اخذ جبريل بركابه وميكائيل بزمام البراق وهما
من اكابر الملئكة فاجتمع له صلى الله عليه وسلم حمل البراق وما
هو كحمل البراق من الملائكة وهذا اتم في الشرف قاله في فتح
الصفا وقد اختلف في حكمة استصعاب البراق فقال ابن
بطال انما استصعب عليه لبعد ركوب الانبيا قبله ويؤيده
ما ورد في بعض طرق القصة فاستصعب البراق وكانت
الانبيا تركبها قبل وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن
ركبت في الفترة وقال بعض المتاخرين وهو الشيخ قاسم
الحنفي رحمه الله تعالى ولا يبعد ان يقال انما كان استصعابه فرقا
من هيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام العيني
في شرح البخاري وسمع العبد الضعيف من بعض مشايخه

اللقاء

اللقاء انه انما شمس ليعد له الرسول صلى الله عليه وسلم
بالركوب عليه يوم القيمة فلما وعد له ذلك قر وذلك
لانه جا في التفسير في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك
فترضى ان الله تعالى اعد له في الجنة اربعين الف براق
ترعى في مروج الجنة انتهى وقد روى ابن زنجويه في فضائل
الاعمال عن كثير بن مرة الحضرمي قال قال رسول الله صلعم
تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتى توافي
به المحشر وانا على البراق اختصصت به من دون الانبيا
يومئذ ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي على ظهرها
بالاذان فاذا سمعت الانبيا وامهما اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على
ذلك وقال ابن دحية وابن المنير انما استصعب تيها
وزهوا بركوب النبي صلى الله عليه وسلم واراد بقوله له
امحمد تستصحب استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد
الصعوبة وانما تاه لمكان النبي صلى الله عليه وسلم منه
ولهذا قال فارفض عرقا فكانه اجابه بلسان الحال
متبريا من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب وذلك
قريب من رجفة الجبل به حتى قال له اثبت فانما عليك نبي
وصديق وشهيد فهي هزة طرب لا هزة غضب ولم يسم الله
سبحانه وتعالى سير البراق برسول الله صلعم طيرانا وانما
سماه بما يسمى به السير المعتاد وسير الليل عند العرب يسمى اسراء

فيؤخذ من هذا ان الولي اذا طويت له الارض البعيدة في الساعة
الواحدة تبعًا وله اسم المسافر ويشمله احكام السفر باعتبار
القصر والفطر وانما لم يذكر البراق في الرجوع لان ذلك
معلوم لذكره في الصعود كقوله سبحانه وتعالى وسرابيل
تقيكم الحر يعني والبرد ويؤخذ مما ذكر في القصة وهنا
من ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ركبوا البراق ان ركوبه
ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم نعم قبل ركوبه
مسرجًا ملجمًا لم يرو لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
الوجه الثالث عشر في قوله في القصة وتكلم اربعة وهم
صغار فذكر ابن الماشطة وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى بن مريم وقد تكلم في المهد جماعة غيرهم وصلوا
بالاربعة المذكورين عشرة ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة
مرفوعًا لم يتكلم في المهد الا ثلاثة فذكر عيسى وصاحب
جريج وابن المرأة التي مر عليها بامرأة يقال لها زنت وفي
صحيح مسلم في قصة اصحاب الاخدود ان امرأة جيء بها
لتلقى في النار لتكفر ومعها صبي مرضع فتقاعست فقال
يا امه اصبري فانك على الحق وفي رواية عن ابن قتيبة
انه كان ابن سبعة اشهر وروى الثعلبي عن الضحاك
ان يحيى بن زكريا تكلم في المهد وذكر البغوي في تفسيره
ان ابراهيم الخليل صلعم تكلم في المهد وفي سير الواقدي
ان نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم تكلم في اوايل ما ولد وقد

تكلم في زمنه صلى الله عليه وسلم مبارك اليمامة وهو طفل
كما في الدلائل للبيهقي فهؤلاء عشرة واما قوله صلعم المروي
في الصحيحين كما تقدم لم يتكلم في المهد الا ثلاثة الى اخره
فقال الزركشي اي من بني اسرائيل وقال غيره قاله قبل
ان يعلم الزيادة وقد نظم اسماء المتكلمين في المهد العشرة
الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله تعالى فقال
تكلم في المهد النبي محمد • ويحيى وعيسى والخليل ومريم •
ومبري جريج ثم شاهد يوسف • وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم •
وطفل عليه مر بالامة التي • يقال لها تزني ولا تتكلم •
وماشطة في عهد فرعون طفلها • وفي زمن الهادي المبارك يختم
الوجه الرابع عشر ذكر في القصة نزوله صلى الله عليه وسلم
عن البراق وصلاته بعدة مواضع وقال حذيفة ان رسول
الله صلعم لم يزايل ظهر البراق هو وجبريل حتى انتهيا الى
بيت المقدس قال الحافظ ابن حجر وهذا لم يسنده حذيفة
الى النبي صلعم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد وقال بعضهم ويدل على
ذلك انكاره ربط البراق والصلاة في بيت المقدس
مع ورود الاحاديث الصحيحة عن جماعة من الصحابة برفع
ذلك وظاهر قول حذيفة لم يزايل هو وجبريل ظهر البراق
ان جبريل كان راكب البراق مع النبي صلعم وقد اختلف في
ذلك واجاب بعضهم عن قول حذيفة بانه يحتمل ان يكون
قوله هو وجبريل متعلق بمرافقته في السير لا في الركوب

وقال ابن دحية معناه وجبريل قائدًا وسائق او دليل
قال وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامةً
للنبي صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها وقد تعقب
الحافظ ابن حجر التاويل المذكور بان في صحيح ابن حبان
من حديث ابن مسعود رضي الله ان جبريل حمله البراق رديفا
له وفي رواية الحارث في مسنده اتى بالبراق فركبه خلف
جبريل فسار بهما وهذا وما قبله صريح في ركوبه معه
وانه كان خلف جبريل رديفا له لكن في حديث ابن ابي ليلى
الذي رواه الطبراني ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بالبراق فحمله بين يديه والله اعلم واما ما تقدم من
انكار حذيفة رضي الله عنه ربط البراق فروى الامام
احمد والترمذي عنه انه لما قيل له ربط البراق قال اخاف
ان يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة قال ال
بيهقي والسهيلي والمثبت مقدم على النافي يعني من
اثبت ربط البراق في بيت المقدس معه زيادة علم على من
نفى فهو اولى بالقبول قال الامام النووي رحمه الله وفي ربط
البراق الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان
ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد على الله سبحانه و
تعالى وقال السهيلي في هذا من الفقه التنبيه على الاخذ
بالحزم مع صحة التوكل وان لا ايمان بالقدر كما روي عن وهب
ابن منبه لا يمنع الحزم من توقي المهالك قال وهب رحمه الله

وجدته

وجدته في سبعين كتابا من كتب الله القديمة وهذا نحو قوله
صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل فايمانه صلى الله عليه
وسلم بانه قد سخر له كايمانه بقدر الله تعالى وعلمه بانه قد
سبق في ام الكتاب ما سبق ومع ذلك كان يتزود في
اسفاره ويعد السلاح في حروبه حتى لقد ظاهر بين
درعين في غزوة احد وربط البراق من هذا الفن و
قوله صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتى الصخرة فوضع اصبعه
فيها فخرقها وشد بها البراق قال الطيبي في شرح
المشكاة فان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله في حديث
حديث انس فربطه بالحلقة التي كانت تربط بها الانبيا
قلت المراد من الحلقة الموضع الذي كان فيه الحلقة وقد
استتر فخرقه جبريل انتهى وهذا الجمع لا يصح لان الحلقة
موضعها بالباب والذي خرقه جبريل باصبعه انما هو الصخرة
وهي داخلة في المسجد بعيدة عن الباب والاولى ما قاله
بعضهم في الجمع انه صلعم ربطه اولا بالحلقة تادبا و
اتباعا للانبياء عليهم الصلاة والسلام فاخذ جبريل
وحله من الحلقة وخرق الصخرة وشده بها كانه يقول انت
لست ممن يكون مركوبه بالباب بل انت اعلى واعلى فلا يكون
مركوبك الا في داخل المحل وهذا امر مشاهد في العادة
بين الكبراء الوجه الخامس عشر في صلاته صلعم بالانبياء
في بيت المقدس تظافرت الروايات انه صلعم صلى بالانبيا

في بيت المقدس قبل العروج وهو احد احتمالين للقاضي عياض
رحمه الله تعالى وقال الحافظ بن حجر رحمه الله انه الاظهر والاحتمال
الثاني انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم بعد ان هبط من السماء
فهبطوا ايضا وصححه الحافظ ابن كثير وقال بعضهم وما
المانع من انه صلى بهم مرتين فان في بعض الاحاديث ذكر
الصلاة بهم بعد المعراج وهذه الصلاة التي صلاها
النبي صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام
الصواب انها الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود
لان النص يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية الا
اذا تعذر حمله على الشرعية ولم يتعذر هنا فوجب حمله
على الشرعية ويؤيده ما في القصة فاخذ جبريل بيده
فقدمه فصلى بهم ركعتين والظاهر انها كانت فريضة
وايده بعضهم بقوله في بعض طرق القصة ثم اقيمت الصلاة
فاممتهم وفي رواية فاذن جبريل والاذان والاقامة
يؤذنان بانها فريضة ولا يشكل على هذا ان بدء الاذان
انما كان بعد الهجرة لانه لا مانع من وقوعه بعد الاسرا قبل مشروعيته
للصلوات الخمس وعلى كونها فريضة قال بعضهم كانت
الصلاة التي صلاها صلاة العشاء وقال بعضهم انها
الصبح قال بعض المتاخرين وليس بشيء سواء قلنا صلى
بهم قبل العروج او بعده لان اول صلاة صلاها النبي
صلى الله عليه وسلم من الخمس مطلقا الظهر بمكة بالاتفاق

ومن

ومن حمل الاولية على مكة فعليه الدليل والذي يظهر
والله سبحانه وتعالى اعلم انها كانت في النفل المطلق
او كانت من الصلاة المفروضة عليه قبل ليلة الاسرا
وفي فتاوى النووي رحمه الله ما يؤيد الثاني وهل
قرا فيها بام القران مقتضى قوله صلى الله عليه وسلم
لا تجزي صلاة لا يقرا فيها بام القران او كان ذلك
قبل مشروعية هذا الحكم محل نظر وقال بعضهم لم
يرد في تعيين القراءة في تلك الصلوة فيما وقفت عليه
خبر صحيح او حسن يعتمد وفوق كل ذي علم عليم انتهى قال
بعضهم ورؤيته صلعم للانبيا وصلاته بهم ببيت المقدس
يحتمل انها كانت للارواح خاصة وانها تشكلت بصور
اجسادها في علم الله تعالى ويؤيده ما في حديث ابي هريرة
عند الحاكم والبيهقي فلقي ارواح الانبياء ويحتمل الاجساد
بالارواح ويؤيده حديث عبد الرحمن بن قاسم عن انس
عند البيهقي وبعث الله ادم فمن دونه من الانبيا وعند
البزار والطبراني فنشر لي الانبيا من سمى الله تعالى ومن لم
يسم فصليت بهم واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم
في السماء فمحمولة على رؤية ارواحهم وانها تشكلت بصور
اجسادهم الا عيسى صلعم لما صح انه رفع بجسده وكذلك
ادريس ايضا او احضرت اجسادهم لملاقاته صلعم تشريفا
له وتكريما وقد انكر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صلاة

النبي صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس تلك الليلة واحتج بانه
صلى الله عليه وسلم لو صلى فيه لكتبت عليكم الصلاة فيه قال
البيهقي والحافظ بن كثير والمثبت مقدم على النافي يعني
من اثبت الصلاة ببيت المقدس وهم الجمهور من الصحابة معهم
زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول واما بقوله
كتب عليكم الفرض وان اراد التشريع فنلتزمه وقد شرع
النبي صلعم الصلوة في بيت المقدس فقرنه بالمسجد الحرام
ومسجده في شد الرحال وذكر فضيلة الصلاة فيه في غير
ما حديث فان قيل كيف تصلي الانبيا وهم اموات وليسوا
في دار العمل اجيب بانهم كالشهدا بل افضل منهم
احيا في قبورهم فيصلون ويحجون كما ورد في الحديث الاخر
فلا يستبعد ان يتقربوا الى الله تعالى بما استطاعوا لان
البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم فيه من
الاعمال وزيادة الاجور وان المنقطع عنهم بالموت
هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل
التلذذ بها والخضوع لله تعالى كما جا في الحديث ان اهل
الجنة يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو معنى قوله تعالى
دعواهم فيها سبحانك اللهم وكما ورد انه يقال للقاري
اقرا وارق وانظر الى سجود النبي صلعم وقت الشفاعة
اليس ذلك عبادة وعملا وعلى كل حال لا يمنع حصول
هذه الاعمال في مدة البرزخ لان الانبيا عليهم الصلاة و

ما احتج به فيجاب عنه بمنع التلازم بين الصلاة والكتابة ان كان اراد

والسلام

والسلام لم يقبضوا حتى خيروا بين البقا في الدنيا وبين الاخرة
فاختاروا الاخرة ولا شك انهم لو بقوا في الدنيا لازدادوا
من الاعمال الصالحة فلو كان انتقالهم من هذه الدار
يفوت عليهم زيادة فيما يقرب الى الله سبحانه وتعالى لما
اختاروه الوجه السادس عشر في تقديم الانبية هل
كان قبل العروج او بعده وفي عددها فاكثر الروايات
انه كان قبله وفي بعضها انه بعده ففي رواية بعد ذكر
رؤيته ابراهيم صلعم في السماء السابعة ثم انطلقنا
فاذا نحن بثلاث انية مغطات وفي رواية كان ذلك
بعد ان رفعت له سدرة المنتهى وفي رواية كان ذلك
بعد رؤيته البيت المعمور قال الحافظ بن كثير وغيره
ولعله قدم مرتين لانها ضيافة له صلى الله عليه وسلم
وتبعهم على ذلك الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى جمعا بين
الروايات وقال الحافظ بن كثير وبن حجر واما الاختلاف
في عدة الانية وما فيها فيحمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم
يذكر الاخر ومجموعها اربعة انية فيها اربعة اشيا من الانهار
الاربعة التي تخرج من اصل سدرة المنتهى واذا قلنا بعرض
الانية مرتين ففايدة عرض الخمر مع اعراضه عنه في المرة
الاولى وتصويب جبريل له تكرير التصويب والتحذير مما وقع
وهل كانت الخمرة من خمر الجنة او من جنس خمر الدنيا فان كان
الاول فسبب تجنبها صورتها ومضاهاتها للخمر المحرمة اي في

علم الله تعالى او مالا ويكون ذلك ابلغ في الورع وادق وان
كان الثاني فاجتنابها واضح لكن كانت الخمرة اذ ذاك مباحة
لانها انما حرمت بالمدينة والاسرا كان بمكة فوجه تعيينه صلعم
للبن دون غيره من الاشيا المباحة التي قدمت له وعده ذلك
صوابا وعد الاخر خطا مع انهما سوا في الاباحة وان يكون
فعل ذلك تورعا وتعريضا بانها ستحرم وانه لما فوض
الامر الى اجتهاده صلى الله عليه وسلم وسدد نظره المعصوم
اداه اجتهاده الى تحريم الخمر وتحليل اللبن فوافق الصواب في
علم الله سبحانه وتعالى فلذلك قال له جبريل اصبت الفطرة
اي اخترت اللبن الذي عليه نبت الخلقة وبه ينبت اللحم و
يشتد العظم او اخترته لانه الحلال الدايم في دين الاسلام
بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر وقال النووي رحمه الله
المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة قال ومعناه
والله اعلم اخترت علامة الاسلام والاستقامة قال وجعل
اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سايغا للشاربين سليم
العاقبة واما الخمر فانها ام الخبايث وجالبة لانواع الشر
في الحال والمال انتهى وقال القرطبي رحمه الله يحتمل ان
يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه اول شي يدخل جوف
المولود ويشق امعاه والسر في ميل النبي صلعم اليه دون
غيره لانه مالوف له اولا انتهى ويستفاد من التعليل المتقدم
في تجنبه صلعم الخمر وهو مضاهاتها للخمرة ان من اراد شيا

من الاشربة كما تدار الخمر وهياها بالهيئة التي يتعاطاها
اهل الشهوات من الاجتماعات والالات فقد اتى منكرا
وحرم ذلك عليه وان كان لا يعتد به وقد ذكر اصحابنا
رضي الله عنهم ان ادارة كاس الما على شاربيه تشبيها
بشاربي الخمر حرام ويعزر فاعله الوجه السابع عشر ظاهر
قوله في القصة ثم اتي بالمعراج ان العروج كان لا على البراق
وفي ذلك خلاف قال الحافظ ابن كثير انه لما فرغ صلعم
من امر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه
الى السما ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس
بل كان البراق مربوطا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع
عليه الى مكة وقال الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله انه الصحيح
الذي تقرر من الاحاديث الصحيحة انتهى تنبيه اعلم
انه قد ورد ان بين الدرجة والدرجة في الجنة خمسماية
عام وان الدرجة تهبط كالابل ليصعد عليها ولي الله
ثم ترتفع الى مكانها والظاهر كما قاله بعضهم ان درج
المعراج كذلك والله اعلم واما الحكمة في الاسرا به صلعم
الى بيت المقدس اولا قبل العروج به الى السما فقد تقدم
الكلام عليها عند الكلام على الاية انفا الوجه الثامن
عشر قال ابن المنير ذكر ابن حبيب ان بين السما والارض
بحرا يسمى المكفوف تكون بحار الدنيا بالنسبة اليه كالقطرة
في البحر المحيط فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلعم

تلك الليلة حتى جاوزه فهو اعظم من انفلاق البحر لموسى
صلى الله عليه وسلم الوجه التاسع عشر في قدر ما بين السماء
والارض روى الامام احمد وابن خزيمة في صحيحه وغيرهما عن
عن ابن العباس رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلعم
فقال اتدرون كم بين السماء والارض قلنا الله ورسوله
اعلم قال بينهما خمسماية عام وبين كل سماء الى سماء كل سماء
خمسماية سنة وفوق السماء السابعة بحر بين اعلاه و
اسفله كما بين السما والارض ثم فوق ذلك ثمانية
اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم
فوق ذلك العرش من اسفله واعلاه كما بين الناس
والارض ثم الله سبحانه وتعالى فوق ذلك اي سلطانه
وملكه وعظمته وروى الطبراني في الاوسط وابن
راهويه وغيرهما عن الربيع بن انس قال السماء الدنيا موج
مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد و
الرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب
والسابعة ياقوتة حمراء زاد ابن ابي حاتم وما فوق ذلك
صحاري من نور ولا يعلم ما فوق ذلك الا الله سبحانه وتعالى
وملك موكل بالحجب يقال له ميطاطروش وروى ابو
الشيخ وابن ابي حاتم عن كعب قال سماء الدنيا اشد بياضا
من اللبن والخضرة من خضرة جبل قاف وقوله في الحديث
المتقدم من موج مكفوف الموج ما ارتفع من فوق الما

والمكفوف

53

والمكفوف المحبوس الوجه العشرون استفتاح جبريل
ابواب السماء الاشبه كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله انه
كان بقرع لان صوته معروف ويؤيده كما قاله بعضهم
ما في بعض الروايات فقرع الباب وقال ابن دحية في
استفتاح جبريل لابواب السماء دليل على انه صادف ابوابها
مغلقة وانما لم تهيأ للنبي صلى الله عليه وسلم بالفتح قبل
مجيئه وان كان ابلغ في الاكرام لانه لو راها مفتحة لظن
انها لا تزال كذلك ففعل ذلك ليعلم ان ذلك فعل من اجله
تشريفا له ولان الله تعالى اراد ان يطلعه على كونه معروفا
عند اهل السموات ولذلك لما سألوا جبريل عمن معه
فقال محمد فقالوا ابعث اليه ولم يقولوا ومن محمد مثلا
لانه كان معروفا عندهم ولما قيل الامين الوحي بعد
القرع من هذا قال جبريل فسمى نفسه لانه معروف عندهم
ولم يرد ان احدا من الملائكة يسمى جبريل غيره ولم يقل انا
لئلا يلتبس بغيره ولان فيها اشعارا بالعظمة وفي الكلام
السائر اول من قال انا ابليس فشقي حيث قال انا خير منه
وقالها فرعون فتعس حيث قال انا ربكم الاعلى ولان
انا مبهمة لافتقار الضمير الى العود فهي غير كافية في
البيان والمستاذن محجوب على المستاذن عليه غير متعين
عنده فكانه احاله على جهالة وعلى هذا فينبغي للمستاذن

اذا قيل له من ان لا يقول انا بل يقول فلان لان النبي صلى
الله عليه وسلم انكر على الذي استاذن عليه فقال من
هذا فجعل يقول انا فقال النبي صلعم انا انا انكارا لذلك
ولما سمى جبريل نفسه لهم فتحوا ابواب السموات ولم يتوقفوا
للمراجعة في امره فانه معهود عندهم نزوله وصعوده ولذلك
قدم نفسه لانه الرسول لاحضار النبي صلعم الوجه الحادي
والعشرون قول الخازن لجبريل ومن معك يشعر بانهم احسوا
معه برفيق ولولا ذلك لكان السؤال ا معك احد وذلك الاحساس
اما بمشاهدة لكون السماء شفافة واما لامر معنوي زيادة
انوار وفي قول جبريل حين سئل عمن معه فقال محمد دليل
على ان الاسم ارفع من الكنية لانه اخبر باسمه ولم يخبر بكنيته
وصلعم مشهور في العالمين العلوي والسفلي فلو كانت
الكنية ارفع من الاسم لاخبر بكنيته وقول الخازن قد بعث
اليه اراد الاستفهام فحذف الهمزة للعلم اي اوقد بعث
اليه قال العلماء رضي الله عنهم ليس هذا استفهاما عن اصل
البعث الذي هو الرسالة لانه كان مشهورا في الملكوت
الاعلى بل البعث للمعراج وقيل بل سالوا تعجبا من نعمة الله عليه
بذلك او استبشارا به وقد علموا ان بشرا لا يترقى هذا الترقي
الا باذن الله تعالى وان جبريل لا يصعد بمن لا يرسل اليه وقال
ابن ابي جمرة استفهام الملائكة بقولهم وقد ارسل اليه فيه

دليل

دليل على ان اهل العالم العلوي يعرفون رسالته و
مكانته لانهم سالوا عن وقتها هل حل لا عنها و
لذلك اجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء فكلامهم
بهذه الصيغة ادل دليل على ما ذكرناه من معرفتهم
بجلال مكانته وتحقق رسالته لان هذا اجل ما يكون
من حسن الخطاب والترفيع على المعروف من عادة العرب
وقد قال بعض العلماء في معنى قوله سبحانه وتعالى
لقد راى من ايات ربه الكبرى انه راى صورة ذاته
المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة وانما
اتى الخازن بصيغة الغيبة في قوله مرحبا به ولم يخاطبه
بقوله مرحبا بك لان ذلك كان قبل ان يفتح الباب و
قبل ان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم كلام معه
وخطاب والكلام والخطاب انما كان مع جبريل بالسؤال
والجواب فارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين ويجوز
ان يكون الخازن انما حياه بغير صيغة الخطاب تعظيما
له لان ها الغيبة ربما كانت افخم من كاف الخطاب وفي قول
الخازن مرحبا به الى اخره دليل على ان الحاشية اذا علموا
من سيدهم عزا واكراما لوافد ان يبشروه بذلك وان
لم ياذن لهم فيه ولا يكون في ذلك افشاء السر بل هو
من تحميل البشرى الوجه الثاني والعشرون في الكلام
على لقيه لادم عليه السلام في السماء الدنيا وما وقع

له معه وماراه عنده ففي سلامه على ادم دليل على ان
السنة ان القادم يبدا بالسلام على المقيم والمار على
القاعد لانه صلى الله عليه وسلم كان مارا على ادم عليه
السلام وفي رد ادم السلام عليه وقوله له مرحبا
دليل على انه لا يشرع في رد السلام غير الصيغة المعروفة
لانه لم يقل له مرحبا الا بعد رد السلام على ما جا في
القصة فرد السلام عليه ثم قال مرحبا وظاهر ما في
القصة انه سال عنه بعد ان قال له ادم مرحبا وفي
رواية مالك بن صعصعه بعكس ذلك وهي المعتمدة
فيحمل هذه عليها وليس في رواية ابي ذر ترتيب وفي
قول ادم مرحبا بالابن الصالح اشارة الى افتخاره بابوة
النبي صلعم ووصفه بالصلاح منكورا مع النبوة اي
صالح المعنيين جميعا وفيه تنويه بفضيلة الصلاح
ولهذا وصف فيه النبي صلعم واقتصر الانبيا صلوات
الله وسلامه عليهم الذين اجتمع بهم وراهم في السموات
تلك الليلة على وصفه صلى الله عليه وسلم بالصلاح
وتواردوا عليه وكرر كل منهم عند وصفه بالبنوة
او الاخوة والنبوة لان الصلاح يشمل خلال الخير والصلاح
هو الذي يقوم بما يلزم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد
فمن ثمه كانت كلمة جامعة مانعة شاملة لساير الخلال المحمودة
ولذا لم يقل له احد مرحبا بالنبي الصادق ولا بالنبي الامين

قال

55

قال بعضهم وصلاح الانبيا صلاح خاص لا يتناول عموم الصالحين
ولا يبتني الا على الحاق بالادنى ولا خلاف ان النبوة اعلى
من صلاح الصالحين من الامم فهذا يحقق ان صلاح المضاف
الى الانبيا غير الصلاح المضاف الى الامم وصلاح الانبيا صلاح
كامل لانهم يزول بهم كل فساد فلهم كمال الصلاح ومن
دونهم الامثل فالامثل فكل واحد يستحق اسم الصلاح
على قدر ما زال به او منه من الفساد وظاهر قوله صلعم
في ادم يعرض عليه ارواح ذريته الى اخره ان ارواح بني
ادم من اهل الجنة او النار في السما قال القاضي وهو
مشكل فقد جا ان ارواح المؤمنين منعمة في الجنة وان ارواح
الكفار في سجين فكيف تكون مجتمعة في السما واجاب رحمه الله
بانه يحتمل انها تعرض على ادم اوقاتا فصادف وقت عرضها
مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على ان كونهم
في الجنة او النار انما هو في اوقات دون اوقات قوله تعالى
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا واعترض على الجواب
بان ارواح الكفار لا تفتح لهم ابواب السما كما هو نص القران و
اجيب عنه بما ابداه القاضي احتمالا بان الجنة كانت في جهة
يمين ادم والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ويحتمل ان النسم المرئية
هي التي لم تدخل الاجساد بعد وهي مخلوقة قبل الاجساد
ومستقرها عن يمين ادم وشماله وقد اعلم بما سيصيرون

اليه فلذلك كان يستبشر اذا نظر الى من عن يمينه ويحزن اذا
نظر الى من عن شماله بخلاف التي في الاجساد فليست مرادة
قطعا وبخلاف التي نقلت من الاجساد الى مستقرها من
الجنة او النار فليست ايضا مرادة فيما يظهر وبهذا يندفع
الايراد ويعرف ان قوله نسم بنيه عام مخصوص او عام
اريد به الخصوص قال وظهر لي احتمال اخر وهو ان يكون المراد
بها من خرجت من اجسادها حين خروجها لانها غير
مستقرة ولا يلزم من رؤية ادم لها وهو في السما الدنيا
ان تفتح لها ابواب السما ولا تلجها لانها تعرض عليه
ويكشف له عنها من بعد واما رؤيته لاكلي الربا ومن
ذكر معهم فيحتمل انها رؤية لحال ارواحهم في البرزخ بعد
الموت وفي ذلك تصحيح لمن قال الارواح اجساد لطيفة
قابلة للتنعيم والعذاب ويحتمل ان يكون مثلت له حالهم
في الاخرة انتهى الوجه الثالث والعشرون في الكلام
على رؤيته للانبيا المذكورين في السموت وفي حكمة
اختصاص كل نبي في السما التي لقيه فيها وفي حكمة رؤيته
لهولاء الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم دون غيرهم
وقد اختلفت الروايات في منازل الانبيا في السموت
ففي رواية انس عن ابي ذر قال فذكر انه وجد في السموت
ادم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم ولم يثبت كيف
منازلهم وذكر ان ابراهيم في السادسة وفي سياق

الزهري

الزهري في رواية عن انس عن ابي ذر انه لم يثبت اسماهم و
سياق شريك فيه انه لم يضبط منازلهم ووقع في روايته
ان ادريس في الثالثة وهارون في الرابعة وفي رواية قتادة
عن انس عن مالك بن صعصعة عند البخاري فيها ضبط
لمنازلهم فذكر كل نبي والسما التي هو فيها كما هو مذكور
في سياق القصة انفا وكما سنتكلم عليه في حكمة ذلك
ان شا الله تعالى ولا شك ان رواية من ضبط اولى لا سيما
وقد وافق قتاده في روايته المذكورة ثابت البناني
عن انس عند مسلم ووافقهما يزيد بن ابي مالك عن انس
الا انه خالف في ادريس وهارون فقال هرون في
الرابعة وادريس في الخامسة ووافقهم ابو سعيد
الا ان في روايته يوسف في الثانية وعيسى ويحيى في
الثالثة والرواية الاولى المذكوره اثبت وقد اختلف
المتكلمون على حديث الاسرا في الحكمة في اختصاص كل
واحد من الانبيا بالسماء التي راه فيها رسول الله صلعم
فقيل لاحكمة وانما الانبيا المذكورون لما علموا بقدوم
ابتدروا الى لقايه ابتدار اهل الغايب للغايب القادم
فمنهم من اسرع ومنهم من سبق ومنهم من ابطا ولحق و
منهم من فاته وهذا قاله ابن بطال وزيفه السهيلي
قاضيا وقيل بل لذلك حكمة اي حكمة وهو التنبيه على
الحالات الخاصة بهولاء الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين

وتمثيل بما سيقع للنبي صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير
ما وقع لهم واتفق مما قصه الله تعالى عليهم في كتابه العظيم
والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الحسن ويستدل
به على حسن العاقبة والفال في اليقظة نظير الرؤيا
في المنام فيكون تفسير الفال بيان ما يدل عليه بقظة
كتعبير الرؤيا واهل التعبير يقولون من راى نبيًّا
من الانبيا بعينه في المنام فان رؤياه تؤذن بما يشبه
من حال ذلك النبي من شدة او رخا وغير ذلك من الامور
التي اخبر بها عن الانبيا في القران والحديث وهذا ان له
السهيلي وتبعه غيره عليه فحكمة رؤيته لادم عليه
السلام في السما الدنيا لانه اول الانبيا واول الابا وهو
الاصل فكان الاول في الاولى ولاجل تانيس النبوة
بالابوة في اول انتقاله الى العالم العلوي ووقع
التنبيه به بما سيقع له صلعم من نظير ما وقع لادم
فانه كان في امن الله وجواره في الجنة فاخرجه عدوه
ابليس منها وهذه القصة يشبهها الحالة الاولى
من احوال النبي صلعم وهي هجرته الى المدينة وخروجه
من حرم الله تعالى وجوار بيته وكان اعداوه سببًا
لخروجه لتماليهم على ايذايه وتواطيهم على ذلك وهمهم
بقتله فكربه ذلك وغمه وشق عليه لفراق ما الفه
ووطنه كما وقع لادم عليه السلام عند خروجه من

57

الجنة من الكرب والغم والبكا على فراقها فقد حكي ان بعض
السادة راى ادم صلوة عليه وسلامه في المنام وهو
يبكي فقال له انت ابو البشر وتبكي على مفارقة دار هي
الجنة فانشده • شغفت بجار لا بدار الفتها •
على الجار ابكي لا على فرقة الدار • والحاصل ان الجامع
بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما الفه
من الوطن ثم كان لكل منهما ان يرجع الى وطنه الذي
خرج منه وحكمة رؤيته ولقيه لعيسى ويحيى في
السما الثانية لانهما الممتحنان باليهود اما عيسى فكذبته
اليهود واذته وهموا بقتله فرفعه الله اليه واما يحيى
فقتلوه ففيه الاشارة الى نظير ما وقع له صلعم بعد
انتقاله الى المدينة فصار الى حالة ثانية من الامتحان
وكانت محنته فيها باليهود اذوه وعادوه وهموا بالقاء
الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله منهم كما نجى عيسى منهم
ثم سموه في الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت
ابهره كما قال عند الموت وايضًا فعيسى صلعم كانت حالته
ومقامه معالجة بني اسرايل والصبر على عداوة اليهود
وحيلهم ومكرهم وطلب الانتصار عليهم بقوله من
انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله وكانت
حالته صلعم في السنة الثانية من الهجرة نظير ذلك طلب الانصار
للخروج الى بدر العظمى فاجابوه ونصروه وحكمة رؤيته

صلي الله عليه وسلم ليوسف عليه الصلوة والسلام في
السما الثالثة الاشارة الي حالة ثالثة تشبه حالة يوسف
وماجري له مع اخوته الذين اخرجوه من بين اظهرهم ثم ظفر
بهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم اليوم وكذلك
نبينا صلعم جري له مع قريش نصبوا له الحرب وارادوا
اهلاكه وكانوا سببا في اخراجه من بين اظهرهم ثم ظفر بهم
في غزوة الفتح فصفح عنهم وقال اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم وايضا مناسبة لقيه له في السما الثالثة
ان الثالثة من سني الهجرة وقعت فيها غزوة احد وبما اتفق
فيها من المناسبة شيوع قتل النبي صلعم فناسب ما حصل
للمسلمين من الاسف علي فقد نبيهم ما حصل ليعقوب
من الاسف علي يوسف لاعتقاده انه فقد الي ان وجد ريحه
بعد تطاول الامد ومن المناسبة ايضا بين القصتين
ان يوسف عليه السلام كيد والقي في غيابة الجب حتي
استنقذه الله تعالي علي يد من يشاء ورسول الله صلعم وقع
له في غزوة احد ان اكبت الحجارة علي جبهته من قريش حتي
سقط لجنبه في حفرة كان ابو عامر الفاسق قد حفرها مكيدة
للمسلمين فاخذ علي كرم الله وجهه ورضي عنه بيد رسول الله
صلي الله عليه وسلم واحتضنه طلحة حتي قام وفي رواية مسلم
انه صلعم لما اخبر برؤيته ليوسف صلعم في الثالثة قال فاذا
هو قد اعطي شطر الحسن وفي رواية البيهقي وغيره فاذا انا برجل

احسن

احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر
علي ساير الكواكب فان قيل هذا يدل علي ان يوسف كان
احسن من جميع الناس اجيب بان الترمذي روي من حديث
انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان
نبيكم احسنهم صوتا واحسنهم وجها فيحمل ما في حديث
المعراج من قوله اعطي شطر الحسن واحسن ما خلق الله الي
اخره علي غير نبينا صلي الله عليه وسلم وحمل بعضهم قوله
اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلي الله عليه وسلم وفيه
نظر لان حقيقة الحسن الكامل كانت فيه لانه الذي تم
معناه دون غيره فهي غير منقسمة بينه وبين غيره والا
لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم ينله الا بعضه
فلا يكون تاما ولله در الابوصيري رحمه الله حيث اشار
الي ذلك بقوله في البردة • فهو الذي تم معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيبا باري النسم • منزه عن شريك في محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسم • وقد قال العلما رضي
الله عنهم ان من تمام الايمان به صلي الله عليه وسلم الايمان
بان الله تعالي جعل خلق بدنه الشريف علي وجه لم يظهر
قبله ولا بعده خلق ادمي مثله فيكون ما نشاهده
من خلق بدنه الشريف ايات علي ما يتضح من عظيم خلق
نفسه الكريمة وما يتضح من عظيم خلق نفسه ايات علي
ما يتحقق له من سر قلبه المقدس وقد حكي القرطبي رحمه الله

[illegible] يوسف اعطي شطر الحسن [illegible]

في كتاب الصلاة عن بعضهم انه قال لم يظهر لنا تمام حسنه
صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه صلعم لما
اطاقت اعيننا رؤيته صلعم • ولقد احسن الابوصيري رحمه الله
ايضا حيث قال • اعي الورى فهم معناه فليس يرى • للقرب
والبعد منه غير منفحم • كالشمس تظهر للعينين من بعد •
صغيرة وتكل الطرف من امم • وهذا مثل قوله ايضا رحمه الله تعالى
انما مثلوا صفاتك للناس • كما مثل النجوم الماء
والتشبيهات الواردة في حقه صلعم كما هنا في قوله كالشمس
تظهر الى اخره • وقوله كما مثل النجوم الما ونحو ذلك انما هو على سبيل
التقريب • والتمثيل والا فذاته اعلى واغلى • وحكمة رؤيته
لادريس صلى الله عليهما وسلم في السماء الرابعة • وهو المكان
الذي رفعه الله اليه • وسماه مكانا عليا للايذان بحالة
رابعة وهي علو شانه ومنزلته صلعم • وللاشارة الى
احرازه صلعم لخصايصه فان المنقول ان ادريس اول
من كتب بالقلم • وانتشر منه بعده في اهل الدنيا وكتب
الى الملوك يدعوهم الى التوحيد • وقاتل بني قابيل
فكذلك نبينا صلعم • اتخذ الكتاب والخاتم وكتب عنه
بالقلم الى ملوك الافاق عند استفحال الاسلام •
يدعوهم الى طاعته وخافته الملوك حتى قال ابو سفيان
بن حرب وهو عند ملك الروم هرقل حين جاءه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وراى ما راى من خوف

هرقل لقد امر اي اشتد امر بن ابي كبشه حتى اصبح يخافه ملك
بني الاصفر فمن الملوك المكتوب اليهم • من اتبعه على دينه
كالنجاشي • وملك عمان ومنهم من هادنه واهدى اليه
كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه واظفره الله به
فهذا مقام علي وخط بالقلم كنحو ما اوتي ادريس صلعم •
وقوله في ادريس • قد رفعه الله اليه مكانا عليا • مع انه راى
موسى وابراهيم • في مكان اعلى من مكان ادريس • فذلك
والله اعلم لما ذكر عن كعب الاحبار ان ادريس صلعم خص
من بين جميع الانبيا • بانه رفع قبل وفاته الى السما الرابعة
رفعه ملك كان صديقا له • وهو الملك الموكل بالشمس
وكان ادريس • ساله ان يريه الجنة فاذن الله له في ذلك
فلما كان في الرابعة • راه هنالك ملك الموت فتعجب و
قال امرت ان اقبض روح ادريس في السما الرابعة •
فقبضه هنالك فرفعه حيا الى ذلك المقام خاص به
دون الانبيا قاله السهيلي وقال البدر العيني في
شرح البخاري • فان قلت قال بعضهم ان ادريس • في
الجنة • يدل عليه قوله تعالى • ورفعناه مكانا
عليا • قيل المكان العلي هو الجنة قلت سمعت بعض
مشايخ النقاد يقول ان ادريس • لما اخبر بعروج النبي
صلى الله عليه وسلم • استاذن ربه ان يستقبله فاذن له
فاستقبله ولقيه في السما الرابعة انتهى • فان كان ادريس

اختص بانه ادخل الجنة فقد شاركه النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وزاد عليه بانه دخلها حيًّا
وادريس انما دخلها بعد ان مات بل زاد عليه النبي
صلى الله عليه وسلم في الارتفاع الى اعلى الجنان ورفع
الدرجات وهذا غاية البيان فيما نحن بصدده من
المناسبة وقول ادريس له مرحبًا بالاخ الصالح
استشكل بانه اب من اباء النبي صلعم وانه جد اعلى لنوح
فكيف خاطبه بالاخ ولم يخاطبه بالابن كما قال ادم
وابراهيم صلى الله عليهما وسلم واجيب بانه قد قيل
عن ادريس انه الياس وانه ليس بجد لنوح ولا هو
في عمود النسب وقال النووي رحمه الله ليس في ذلك
ما يمنع كون ادريس ابا لنبينا صلى الله عليه وسلم فان
قوله الاخ الصالح قاله تلطفًا وتادبًا وهو اخ وان
كان ابنا والانبياء اخوة والمؤمنون اخوة وقال ابن المنير
اكثر الطرق على انه خاطبه بالاخ وقال لي ابن ابي الفضل
صحت لي طريق انه خاطبه فيها بالابن الصالح قال
بعضهم وفي صحة ذلك نظر وحكمة رؤيته لهارون
صلعم في السماء الخامسة للايذان باحرازه خصايصه
والزيادة عليه من خصايص هارون صلعم فصاحة
اللسان وقد وصفه موسى بذلك فقال هو افصح مني
لسانا الاية وقد حاز نبينا صلعم المرتبة العليا من

الفصاحة

الفصاحة ولا خفاء ان افصح اللغات لغات العرب وغاية
لسان هارون وفصاحته بالعبرانية والعربية افصح
منها ثم هو صلى الله عليه وسلم افصح من نطق بالضاد من بين
اهل اللغة العربية ولان هارون كان محببًا في قومه فذلك
حب قريش وجميع العرب له صلى الله عليه وسلم بعد بغضهم
له وللاشارة الى حصول حالة له صلعم تشبه حالة حصلت
لهارون عليه السلام مع بني اسرائيل مما ناله منهم من
الاذى ثم الانتصار عليهم والايقاع بهم وقصر التوبة
فيهم على القتل دون غيره من العقوبات المنحطة عنه و
ذلك ان هارون عليه السلام عندما تركه موسى عليه السلام
في بني اسرائيل وذهب لموعد المناجات تفرقوا على هارون
وتحزبوا عليه وداروا حول قتله ونقضوا العهد
واخلفوا الوعد واستضعفوا جانبه كما حكى الله ذلك
عنهم وكانت الجناية العظمى التي صدرت منهم عبادة العجل
فلم يقبل الله منهم التوبة الا بالقتل فقتل في ساعة واحدة
سبعون الفًا فكان نظير ذلك في حقه صلعم ما لقيه
في السنة الخامسة من الهجرة من يهود قريظة والنضير
وقينقاع فانهم نقضوا العهد وحزبوا الاحزاب وجمعوها
واظهروا عداوته صلعم وارادوا قتله وذهب اليهم
قبل الوقعة بزمن يسير يستعينهم في دية قتيلين فاظهروا
اكرامه واجلسوه تحت جدار ثم تواعدوا ان يلقوا عليه

رجًا فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بمكرهم الذي هموا
به فمن حينئذ عزم على حربهم وقتلهم وفعل الله تعالى
ذلك وقتل قريظة سعد بن معاذ بتحكيمهم فقتلوا شر قتلة
وحاق المكر السيئ باهله ونظير استضعاف اليهود هارو
استضعافهم المسلمين في غزوة الخندق وحكمة رويته
ولقيه لموسى عليه السلام في السماء السادسة للايذان
بحصول حالة له صلعم تشبه حالة موسى مما وقع له من
معالجة قومه وقد اشار الى ذلك النبي صلعم بقوله لقد
اوذي موسى باكثر من هذا فصبر والاشارة الى مناسبة
اخص تتعلق برويته صلعم في السماء السادسة وذلك
ان موسى عليه الصلاة والسلام اراد ان يقيم الشريعة
في الارض المقدسة وحمل قومه على ذلك فتقاعدوا عنه
وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها وفي الآخر تجلوا بالقنوط فقالوا انا لن ندخلها
ابدا ما داموا فيها فغضب عليهم وحال بينهم وبينها
واوقعهم في التيه وال الامر الى قهر الجبابرة واخراجهم
من ارضهم وكذلك اراد النبي صلعم في هذه السنة
ان يدخل بمن معه مكة يقيم بها شريعة الله وسنة نبيه
ابراهيم صلعم فصدوه فلم يدخلها في هذا العام ثم
دخلها في العام القابل وال الامر صلعم الى ان فتح مكة
وقهر المتجبرين والمستهزئين من قريش فكان لقاوه لموسى

تنبيها

61

تنبيها على التأسي به وحصول له حالة تشابه حال موسى صلعم
وما وقع في القصة من ان موسى صلعم لما جاوز
نبينا صلى الله عليه وسلم بكى فقيل له ما يبكيك قال
ابكي لان غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من امته
اكثر ممن يدخل الجنة من امتي فاما البكاء من موسى
فقال العلماء لم يكن حسدا معاذ الله فان الحسد في ذلك
العالم منزوع عن احاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه
الله وعصمه بل كان اسفا على امته من بني اسرائيل من
ما فاته
حظهم من الله عز وجل حيث قل الايمان فيهم وندر القبول
وفشا الطغيان والنكول وايضا اسفا على ما فات موسى
مما فاز به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من كثرة الاجر التي
يترتب عليه رفع الدرجات بسبب ما وقع من امته من كثرة
المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة لتنقيص
اجره لان لكل نبي مثل اجر من تبعه وكان من اتبعه في
العدد دون من اتبع نبينا صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم
بالنسبة الى مدة هذه الامة والبكاء على فوات الحظوظ
الاخروية سنة متبعة وعلى مثل هذا يناح ويبكى
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والظاهر ان القائل
لموسى ما يبكيك هو الله سبحانه وتعالى ويدل على ذلك
قوله في الجواب في بعض الروايات يا رب قاله ابن ابي جمرة
واما قول موسى صلى الله عليه وسلم غلام فليس ذلك

على سبيل المفاضلة والتنقيص بل على سبيل التنويه بقدرة
الله تعالى وعظيم كرمه اذ اعطى لمن كان في ذلك
السن ما لم يعطه احدا ممن هو لسن منه قال الخطابي
العرب تسمي الرجل المستجمع السن غلاما ما دامت فيه
بقية من القوة وقال ابن ابي جمرة العرب انما يطلقون
على المرء غلاما اذا كان سيدا فيهم فاجمل ما في هذا
اللفظ من الاختصاص والاشعار بالافضلية دون غيره
من الفاظ ذكره موسى ولم يذكر غيره تعظيما للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وقال الحافظ بن حجر ويظهر لي ان موسى
اشار الى ما انعم الله به على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
من استمرار القوة في الكهولة الى ان دخل في اول سن الشيخوخة
ولم يدخل في بدنه هرم ولا اعترى قوته نقص حتى ان
الناس لما راوه مردفا ابا بكر عند قدومه المدينة اطلقوا
عليه اسم الشاب وعلى ابي بكر اسم الشيخ مع كونه في العمر اسن
من ابي بكر وفي امساك موسى عن البكا وعن ما وقع منه
من الكلام حتى فارقه النبي صلعم مراعاة لجانب النبي صلعم
وتشارة له وادخال السرور عليه ويشهد لذلك بكاؤه
قبل ان يبعد النبي صلى الله عليه وسلم عنه لانه لو كان
البكا مختصا بموسى لم يكن ليبكي حتى يبعد عنه بحيث لا يسمعه
فلما كان المراد به ما ينشأ من السرور والبشارة بكى
والنبي صلعم منه بحيث يسمع والبشارة هو قول موسى

فبكى

يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخل من امتي ونحو ذلك وقد
وقع من موسى من العناية بهذه الامة في امر الصلاة ما
لم يقع لغيره ووقعت الاشارة الى ذلك في حديث ابي
هريرة عند الطبراني والبزار كان موسى اشدهم علي
حين مررت به وخيرهم حين رجعت اليه وفي حديث
ابي سعيد فاقبلت راجعا فمررت بموسى ونعم الصاحب
كان لكم الحديث وحكمة رؤيته ولقيه لابراهيم صلعم
في السماء السابعة لانه الاب الاخير فناسب ان يجدد
للنبي صلعم بلقيه انسا لتوجهه بعده الى عالم اخر وايضا
فمنزلة الخليل ارفع المنازل ومنزلة الحبيب ارفع من
منزلته فلذلك ارتفع النبي صلعم من منزلة ابراهيم
الى قاب قوسين او ادنى وللقيه لابراهيم في السابعة
مناسبة اخرى لخص من ذلك وهو ان النبي صلعم اعتمر
عمرة القضا في السنة السابعة من الهجرة ودخل مكة
هو واصحابه ملبين معتمرين محييا لسنة ابراهيم صلعم
ومقيما لرسمه الذي كانت الجاهلية اماتت ذكره وبدلت
امره وفي بعض الطرق انه راى ابراهيم مسندا ظهره
الى البيت المعمور في السما السابعة فكان ذلك والله
اعلم اشارة الى انه يطوف في السنة السابعة وهي اول
دخلة دخلها بعد الهجرة والكعبة في الارض قبالة
البيت المعمور وفي قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في وصف

البيت المعمور فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الفا من
الملايكة لا يرجعون اليه الى اخر الدهر اشارة الى انه دخل
البيت الحرام لا يرجع اليه لانه لم يدخله بعد الهجرة الا يوم
الفتح ثم لم يعاوده في حجة الوداع فان قيل لم لم ير
صلعم تلك الليلة في السماء نوحا عليه الصلاة والسلام
وهو من اولي العزم قلت سمعت بعض مشايخي رحمه الله
تعالى ورحمهم يقول انما لم ير نوحا ونحوه لانها ليلة رحمة
فناسب ان لا يرى فيها من استوصل قومه بالعذاب
وفي سواله صلعم لجبريل عن كل واحد من الانبيا الذين
راهم في السموات بقوله من هذا يا جبريل فيقول هذا
ابوك ادم الى اخره اشكال وهو ان يقال كيف ام الانبيا
في بيت المقدس وسلم عليهم وعرفهم ثم سال عنهم في
الليلة حين راهم في السموات من جبريل فانه لو راهم
وعرفهم قبل ذلك لما احتاج الى سوال جبريل عنهم
ويجاب بانه يحتمل انه راهم في بيت المقدس على حالة من
تصور الارواح بصور الاجساد او من حضور الاجساد
بالارواح ثم لما راهم على حالة غير التي راهم عليها في   في السماء رأهم
الارض فلذلك سال عنهم او انه راهم في الموضعين
على حالة واحدة لكن لما شاهدهم تلك الساعة في الارض
ثم راهم في منازلهم في السما سال عنهم للفرقة الالهية
واستثباتا لا تعجبا فانه عالم ان الله الذي اصعده الى هذا

المكان في لحظة قادر على نقلهم الى السموات في اسرع من
طرفة عين سبحانه وتعالى الوجه الرابع والعشرون في الكلام
على البيت المعمور قال ابو عبيدة ومعنى المعمور الكثير
الغاشية ويسمى ايضا الضراح بضم الضاد المعجمة و
تخفيف الراء واخره مهملة وهذا هو المشهور وما
قيل انه بالصاد المهملة فغلط وبالضراح تسميه
الملايكة وسمي به لانه ضرح عن الارض اي بعد وقال
مجاهد البيت المعمور هو الضريح يعني بالمعجمة وهو في
اللغة البعيد واكثر الروايات انه في السما السابعة
يدخله كل يوم سبعون الفا من الملايكة لا يعودون
اليه الى ان تقوم الساعة وروى اسحق بن راهويه في
مسنده عن علي رضي الله عنه انه سيل عن البيت المعمور
قال بيت في السماء بحيال البيت حرمته كحرمة هذا في الارض
يدخله كل يوم سبعون الف ملك ولا يعودون اليه
اخرجه الطبراني من حديث انس مرفوعا واستدل
بهذين الحديثين وغيرهما على ان الملايكة اكثر المخلوقات
لانه لا يعرف في جميع العوالم من يتجدد من جنسه في
كل يوم سبعون الفا غير ما ثبت في هذا واخرج ابو
الشيخ من طريق الليث قال حدثني خالد بن سعد قال
بلغني ان اسرافيل موذن اهل السماء يسمع اذانه من
في السموات السبع ومن في الارض الا الجن والانس ثم

يتقدم عظيم الملايكة فيصلي بهم قال وبلغنا ان ميكائيل
يوم الملايكه بالبيت المعمور. فايدة نقل الحافظ البرهان
الحلبي في نور النبراس علي سيرة ابن سيد الناس ان
السلطان الظاهر بيبرس سال عن البيت المعمور من اي
شي هو قال فاجاب بعض الحاضرين انه من عقيق ونقله
عن بعض التفاسير انتهى الوجه الخامس والعشرون في الكلام
علي سدرة المنتهى والسدر شجر النبق واحده سدرة
وقيل لها المنتهى لانها ينتهي اليها ما يهبط من فوقها
فيقبض منها واليها ينتهي ما يعرج من الارض كما رواه
مسلم عن عبد الله بن مسعود وقيل غير ذلك قال ابن
دحية اختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاث
اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورايحة زكية فكانت
بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية فالظل
بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرايحة بمنزلة القول
وقد وقع في حديث ابن مسعود عند مسلم ان السدرة
في السما السادسة فظاهر حديث انس انها في السابعة
قال القرطبي وهو تعارض لا شك فيه وحديث انس قول
قول الاكثر وهو الذي تقتضيه وصفها بكونها التي ينتهي
اليها كل علم نبي مرسل وكل ملك مقرب ويترجح ايضا بانه
مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف قال الحافظ ابن حجر
كذا قال يعني القرطبي ولم يعرج علي الجمع بل جزم بالتعارض

ولا

64

ولا يعارض قوله انها في السادسة ما دلت عليه بقية
الاخبار انه وصل اليها بعد ان دخل في السماء السابعة
لانه يحمل علي ان اصلها في السما السادسة واغصانها
وفروعها في السما السابعة وليس في السادسة منها
الا اصل ساقها قال ابن ابي جمرة والاظهر ان شجرة المنتهى
مغروسة بالارض بدليل قوله ونهران باطنان و
لا يطلق هذا اللفظ وما اشبهه الا علي ما يفهم والباطن
لابد ان يكون سيرانه تحت شي وحينئذ يطلق عليه اسم
الباطن وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى دل الحديث علي ان اصل
شجرة المنتهى في الارض لكونه قال ان النيل والفرات
يخرجان من اصلها وهما بالمشاهدة يخرجان من الارض
فيلزم منه ان يكون اصل السدرة في الارض وتعقبه
النووي بان المراد بكونهما يخرجان من اصلها غير خروجهما
بالنبع من الارض والحاصل ان اصلهما من الجنة وهما
يخرجان اولا من اصل السدرة ثم يسيران الى ان يستقرا
في الارض ثم ينبعان وما وقع في القصة من قوله واذا في
اصلها اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران
وقول جبريل لما سئل عنهما اما الباطنان فنهران في
الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات قال ابن ابي جمرة
في قول جبريل هذا دليل علي ان الفرات والنيل ليسا
من الجنة وسدرة المنتهى ليست من الجنة حتى يقال انهما

يخرجان منها بعد نبعهما من السدرة وهذا معارض
لما رواه مسلم عن ابي هريرة مرفوعًا سيحان وجيحان
والفرات والنيل كل من انهار الجنة والجمع بينهما والله
اعلم ان الفرات والنيل منبعهما من السدرة واذا نزلا
الى الارض يسلكان اولا على الجنة فيدخلانها كانا من انهار
الجنة باعتبار المرور والسلوك عليهما لا لكونهما دائمًا
فيها وظاهر الحديث وقول السلف يخالف ذلك فقد اخرج
الحارث في مسنده والبيهقي في الشعب عن كعب قال نهر
النيل نهر العسل في الجنة ونهر دجلة نهر اللبن ونهر
الفرات نهر الخمر وسيحان نهر الماء وقد استدل على
فضيلة النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة وانهما
ينبعان من اصل سدرة المنتهى بخلاف غيرهما وان كان
من انهار الجنة كسيحان وجيحان فلا ينبعان من اصل السدرة
فامتاز النيل والفرات عليهما بذلك فان قيل قد وردت
الاخبار بان من شرب من ماء الجنة لا يموت ولا يفنى وانه
ليس له فضلة تخرج على ما يعهد في دار الدنيا وانما خروجه
رشحات تسيل على البدن وماء النيل وما ذكر معه من المياه
التي ورد انها من انهار الجنة ليس فيها هذه الاشياء المذكورة
واجيب عن ذلك بان الله تعالى جعل في ماء الجنة هذه الخاصية
العظمى ثم لما شاءت الحكمة الالهية بنزوله الى هذه الدار
نزعت منه تلك الخصوصية وبقي جوهره بحاله وكل الجواهر

مثله

مثله في هذا المعنى ان شاء الله تعالى ابقى له الخاصية وان
شاء سلبها مع بقاء جوهرها ليست لذوات الخواص تاثير
للخاصية خلقة والجوهر خلقة وانما القدرة هي المؤثرة
في كلها قال ابن ابي جمرة واما النهران الباطنان في
الجنة فقال مقاتل هما السلسبيل والكوثر فائدة اخرج
ابو نعيم وايضًا عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعلكم تظنون ان انهار الجنة اخدود في الارض
لا والله انها السائحة على وجه الارض اشهى ولا اخدود
شق في الارض مستطيل وقوله واذا نبقها مثل قلال
هجر فنبقها بفتح النون والموحدة وهذا هو الذي ثبت
في الرواية وان جوزوا سكون الموحدة والنبق معروف
وهو ثمر السدر والقلال بالكسر جمع قلة بالضم وهي جرار
الواحدة تسع قربتين او اكثر وهجر بفتح الهاء والجيم بلدة تقرب
المدينة الشريفة يريد ان ثمر السدرة في الكبر مثل القلال
وكانت معروفة عند المخاطبين وقوله واذا ورقها مثل
اذان الفيلة بكسر الفاء وفتح التحتية بعدها لام جمع فيل
ولا منافاة بين ذلك وبين قوله تكاد الورقة تغطي هذه
الامة لان المراد التشبيه في الشكل لا في الكبر وقوله في
السدرة يغشاها فراش وفي رواية جراد من ذهب وهو
المراد بالفراش قال البيضاوي ذكر الفراش والجراد على
سبيل التمثيل لان من شان الشجر ان يسقط عليها الجراد

وشبهه وجعلها من الذهب لصفاء لونها واضائتها
في نفسها وقال الحافظ ابن حجر يجوز ان يكون من الذهب
حقيقة ويخلق الله ما يشاء فيها الطيران والقدرة
مسلحة لذلك انتهى تتمة عد بعضهم رفعه صلى الله عليه
وسلم الى سدرة المنتهى معراجا ثامنا بالنسبة الى السموات
السبع وسال عن حكمة هذا المعراج الثامن الى سدرة
المنتهى للسنة الثامنة من الهجرة واجاب بان وجه
ذلك والله اعلم ان السنة الثامنة اشتملت على فتح مكة
وهي ام القرى واليها المنتهى ومنها المبتدى على ما
ورد ان الارض دحيت من مكة فلذلك سميت ام القرى
او هي ام القرى لان اهل القرى يرجعون اليها في
الدين والدنيا واعتمارا وجوارا وكسبا واتجارا فبين
سدرة المنتهى وام القرى في المناسبة ما لا يخفى اذ
سدرة المنتهى ينتهي اليها علم الخلائق ومكة ينتهي اليها
اهل الافاق شرقا وغربا وفيها يكون الاجتماع فكان بلوغه
الى سدرة المنتهى تنبيها على بلوغه الى فتح مكة في العام
الثامن وقد غشيها الجراد والفراش الذي هو جند من
جند الله كما غشي مكة في الفتح جند الله وحزبه وغشيها
ايضا اجناس من الخلق والوان من الاسود والاحمر كما
غشي سدرة المنتهى الوان لا يعلمها الا الله تعالى ولما
غشيت الالوان السدرة حسنت الى ان لا يحسن احد ان ينعتها

لفرط

لفرط الحسن كما ان الوان الخلق لما غشيت مكة يوم الفتح حسنت
حينئذ بالايمان والقران حتى لا يحسن احد ان يصف حالها
حينئذ من عظم الشان الوجه السادس والعشرون
في الكلام على رؤية الجنة والنار وما يتعلق بذلك قوله
في القصة ثم انتهى على الكوثر حتى دخل الجنة قال الامام العز بن
عبد السلام في تفسيره في هذا الحديث دليل على ان السدرة
ليست في الجنة وجزم به ابن ابي جمرة كما اشير اليه فيما سبق
وقال ابن دحية ثم هنا ليست للترتيب كما في قوله تعالى
ثم كان من الذين امنوا وانما هي هنا مثل الواو للجمع و
الاشتراك فهي بذلك خارجة عن اصلها قال ابن
اقبرس في شرح الشفا وهو خلاف الظاهر وفي عرض
الجنة عليه الصلاة والسلام كما قال ابن دحية كرامة
عظيمة لانه كان يعرض الجنة على امته ليشتروها كما
قال عن ربه تبارك وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية فاراد تعالى
ان يعاين النبي صلى الله عليه وسلم ما يعرضه على امته
ليكون وصفه لها عن مشاهدة ويحتمل انه انما اراه
اياها ليعلم خسة الدنيا في جنب ما راه فيكون في
الدنيا ازهد وعلى الشدائد اصبر حتى يؤديه الى
الجنة ويحتمل ان الله تعالى اراد ان لا يكون لاحد
كرامة الا ان يكون لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها

ولما كان لادريس كرامة دخول الجنة قبل يوم القيمة اراد
الله سبحانه وتعالى ان تكون لصفيه ونجيه محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وقوله في القصة فراى على بابها يعني
الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية
عشر قال بعض العلماء في توجيه كون درهم القرض بثمانية
عشر ان درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما ورد
ودرهم الصدقة بعشرة ودرهم القرض يرجع الى المقرض
بدله وهو بدرهمين من جملة مبلغ اصله وهو عشرون
يتاخر للمقرض ثمانية عشر وفي هذا مع قوله صلى الله عليه
وسلم يا جبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال
لان السائل يسال وعنده والمستقرض لا يستقرض الا
من حاجة دليل على فضيلة القرض على الصدقة لكن
رجح كثيرون الصدقة عليه لما ورد في الصدقة من
الدلائل الكثيرة المشهورة وقوله واذا فيها يعني
الجنة جنابذ اللؤلؤ بجيم ونون مفتوحتين ثم الف
ثم باء ثم ذال معجمة وهي القباب وقوله واذا رمانها
يعني الجنة كالدلاء جمع دلو وقوله واذا طيرها كالبخاتي
جمع بختي وقوله ثم عرضت عليه النار انما عرضت عليه
كما قال ابن دحية ليكون في القيامة اذا قال ساير الانبيا
نفسي نفسي ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يقول امتي
امتي وذلك حين تسجر جهنم لانهم لم يروها قبل يوم القيامة

شيئا منها فاذا راوها جزعوا وكفت السنتهم عن الخطبة و
الشفاعة من هولها وشغلتهم عن امرهم وهو صلى الله
تعالى عليه وسلم قد راى جميع ذلك فلا يحصل له مثل
ما حصل لهم ليقدر على الخطبة وهو المقام المحمود لان
الكفار لما كانوا يكذبونه ويؤذونه اشد الاذى اراه الله
تعالى النار التي اعدها للمكذبين والموذين له والمستهزئين
به وبامره تطييبا لقلبه وتسكينا لفواده والاشارة
في ذلك الى تطييب قلبه في شان اعدائه بالاهانة و
١٧١ الانتقام فاولى بتطييب قلبه في شان اوليائه بالشفاعة
والاكرام وليعلم منة الله تعالى عليه حين انقذهم منها
ببركته وشفاعته وقوله وراى مالكا خازن النار
فبدا النبي صلعم بالسلام قال السهيلي لم يره على الصورة
التي يراه المعذبون عليها في الاخرة ولو راه على تلك الصورة
ما استطاع ان ينظر اليه قال الطيبي انما بدا مالك بالسلام
ليزيل ما استشعر من الخوف منه بخلاف سلامه على الانبيا
ابتدا كما سبق انتهى وقد وقع في رواية ان النبي صلى الله
عليه وسلم بدا مالكا بالسلام لكن الرواية الاولى اصح
اسنادا من هذه ويحتمل ان يقال لورود هذه الرواية
ان النبي صلعم راه اكثر من مرة ففي الاولى بدا مالك النبي
صلعم بالسلام وفي الثانية وفي الثالثة بداه النبي صلعم

الوجه السابع والعشرون في الكلام على المستوى الذي

سمع فيه صريف الأقلام قوله في القصة ثم عرج به حتى
ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام فالمستوى بفتح
الواو والتنوين موضع مشرف وهو المصعد وقيل
المكان المستوى واللام في قوله لمستوى للتعليل
اي ارتفعت لاستعلاء مستوى او لرؤيته او لمطالعته
ويحتمل ان تكون متعلقة بالمصدر اي ظهرت ظهورا
لمستوى ويحتمل ان تكون بمعنى الى وفي رواية بمستوى
بالباء وهي ظرفية وصريف الاقلام بفتح الصاد
المهملة وكسر الراء وبالفاء قال النووي وغيره هو صوت
حركتها وجريانها على المكتوب فيه من اقضية الله تعالى
ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ وما شاء الله
تعالى من ذلك ان يكتب ويرفع لما اراده من امره وتدبيره
وفي ذلك حجة لاهل السنة في الايمان بصحة كتابة
الوحي والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ
بالاقلام التي هو يعلم جنسها وكيفيتها على ما جاءت
به الآيات في الكتاب والاحاديث الصحيحة وما جاء من
ذلك عن ظاهره لكن كيفية ذلك في صورته وجنسه
مما لا يعلمه الا الله تعالى ومن اطلعه على شيء من ذلك
من ملائكته ورسله وما يتأول هذا ويحيله الا ضعيف
النظر والايمان اذ جاءت به الشريعة ودليل المعقول
لا يحيله والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد حكمة من

الله واظهارا لما يشاء من غيبه لمن يشاء من ملائكته و
سائر خلقه والا فهو غني عن الكتب والاستذكار سبحانه
وتعالى قاله القاضي عياض وقال ابن المنير قد علم ان
الاقلام انما تكتب الاقدار والمقدر مكتوب قديم وانما
الكتابة حادثة وجاءت الاخبار بان اللوح المحفوظ فرغ
من كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والارض
وانما هذه الكتابة المجددة في صحف الملائكة كالفروع
المنتجة من الاصل وفيها المحو والاثبات على ما ورد في
الاثر واصل اللوح المحفوظ الذي انتسخ منه اللوح و
هو علم الغيب القديم في ازل القدم وهو الذي لا محو
فيه ولا اثبات حيث لا لوح ولا قلم قال القرطبي في المفهم
ولعل الاقلام الموصوفة هنا هي المعبر عنها بالقلم
المقسم به في قوله ن والقلم ويكون القلم للجنس فان
قلت ما المناسبة بين المعراج التاسع وبين العام التاسع
من سني الهجرة قلت كان في العام التاسع غزوة تبوك
وفيها خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام
في العدد الذي لم يتم قبله مثله كان العدد فيها ثلاثين
الفا وكانت الشقة بعيدة ولهذا لم يور فيها بل اعلم الناس
بتوجههم ليكون تاهبهم بحسب ذلك ومع هذا الاجتهاد
في الاستعداد لم يلق النبي صلعم فيها حربا ولا افتتح بلدا
وذلك لان اجل فتوح الشام لم يكن حل بعد فانفسخ العزم

بالفرد وبجفاف القلم ورجع النبي صلى الله عليه وسلم
الى المدينة وعلى المسلمين الوقار والسكينة من غير
اضطراب عند انصرف المعرفة انتهى الوجه الثامن
والعشرون في الكلام على الرفرف والسحابة وما يتعلق
بذلك اعلم ان الامام ابن المنير قال في كتابه المقتفى في
شرف المصطفى ان سني الهجرة العشر بجملتها مطابقة
للمعاريج التي كانت ليلة الاسرا ومقابلة لها بالمناسبة
وقد كانت المعاريج ليلتئذ عشرا على عدد سني الهجرة
منها سبعة معاريج الى السبع الثامن الى سدرة المنتهى
التاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في
تصاريف الاقدار العاشر الى العرش والرفرف والرؤية
وسماع الخطاب وهو حقيقة اللقا ولهذا ختمت سني الهجرة
العشر بالوفاة وهي لقا الحق جل جلاله كما ختمت معاريج الاسرا
باللقا والحضور بحضرة القدس على ما تقدم الكلام عليه
في الحديث التام ثم انه ذكر مناسبة لقيه لكل نبي في السما
الذي هو فيه الى انتهاء السموات ثم ذكر مناسبة المعراج
الثامن وهو سدرة المنتهى الى السنة الثامنة ثم مناسبة
المعراج التاسع وهو المستوى الى السنة التاسعة وقد
اشرنا الى شيء من ذلك من كلامه وكلام غيره ثم قال المعراج
العاشر الى الرفرف وحينئذ لقي الله عز وجل بحضرة القدس
وقام بمقام الانس ورفع الحجاب وسمع الخطاب وكان

قاب قوسين او ادنى لا بالصورة ولكن بالمعنى والمناسبة
بين هذا المعراج العاشر وبين العام العاشر من سني الهجرة
امر بين واضح اذ اجتمع في هذا العام اللقاآن اللذان
احدهما لقا البيت وحج الكعبة ووقوف عرفة وكمال
الدين واتمام النعمة على المسلمين واللقا الثاني لقا رب
البيت وكانت فيه الوفاة واللقا والانتقال من
دار الفنا الى دار البقا والعروج بالروح الكريمة الى
المقعد الصدق والى الموعد الحق والى الوسيلة و
هي المنزلة الرفيعة التي لا تنبغي الا لعبد واحد اختاره
الله تعالى على خلقه وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما
ورد في صحيح الخبر انه سئل عن الوسيلة وهي المنزلة
الرفيعة التي لا تنبغي الا لعبد من عباد الله تعالى وارجو
ان اكون انا ورجاه عليه الصلاة والسلام محقق و
امله مصدق وخاطره موفق انتهى قوله ان المعراج
العاشر الى العرش والرفرف الى اخره في ذكر عروجه الى العرش
نظر لانه لم يرد في احاديث المعراج الثابتة انه صلى الله عليه
وسلم عرج به الى العرش تلك الليلة ولم يرد في حديث
انه صلعم جاوز سدرة المنتهى بل انتهى اليه وفي
بعض الاحاديث لم يذكر السدرة بل ذكر فيها انه انتهى
الى مستوى سمع فيه تصاريف الاقلام فقط واما الرفرف فيحتمل
ان المراد به التي غشيته وفيها من كل لون التي روها

ابن ابي حاتم عن انس وعند ما غشيته تاخر عنه جبريل عم
لكن ظاهر السياق للقصة تقتضي انها قبل عروجه الى
الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام وصنيع تعداد
ابن المنير للمعاريج يخالف ذلك فلو جعل المعراج
العاشر هو حضرة القدس التي فيها اللقا والمناجاة
والرؤيه وحذف العرش والرفرف لكان اولى لما
ذكرنا قال الشيخ المصنف حاشية كذا رايت بخط
الشيخ محمد الشامي رحمه الله تسميته رضي الدين تتمه هذا
الوجه وهو انه سئل الشيخ الامام رضي الدين القزويني
رحمه الله تعالى عن وطي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
العرش بنعله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش
بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك ام لا فاجاب بما نصه اما
حديث وطي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنعله فليس
بصحيح وليس بثابت بل وصول النبي صلعم الى ذروة العرش
لم يثبت في خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت اصلا وانما ورد
ذلك في اخبار ضعيفة او منكرة لا يعرج عليها والله
تعالى اعلم بالصواب وقد رايت بخط بعض المحدثين بعد
نقله كلام الشيخ رضي الدين المذكور ما نصه ملخصا
اقول ما ذكره الشيخ رضي الدين هو الصواب وقد وردت
قصة الاسرا والمعراج مطولة ومختصرة عن نحو اربعين صحابيا
وليس في حديث احد منهم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان

[illegible]

الليلة في رجله نعل وانما ذلك وقع في نظم بعض القصاص
الجهلة ولم يذكر العرش بل قال واتى البساط فهم بخلع
نعله ناداه لا تخلع ودس واشربه الى النحو وهذا
باطل لم يذكر في شيء من الاحاديث بعد الاستقراء التام
ولم يرد في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه صلى
الله عليه وسلم جاوز سدرة المنتهى بل انتهى اليها كما
في اكثر احاديث المعراج وفي بعضها لم يذكر السدرة بل
ذكر فيها الى ان انتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام
فقط ومن ذكر انه جاوز ذلك فعليه البيان واني له بذلك
ولم يرد في خبر ثابت ولا ضعيف انه صلعم رقي العرش
وما وقع في بعض الاحاديث المختلقة التي افتراها بعضهم
لا يلتفت اليه ولا اعلم خبرا روي انه صلعم راى العرش
الا ما رواه ابن ابي الدنيا عن ابي المخارق ان رسول الله صلعم
قال لما مررت ليلة اسري بي برجل مغيب في نور العرش قلت
من هذا ملك قيل لا قلت نبي قيل لا قلت من هو قيل
هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله تعالى ولم
يستسب لوالديه قط وهو خبر مرسل لا تقوم به الحجة
في هذا الباب وما ذكر في السؤال يعني المتقدم من انه صلعم
رقى العرش بنعله فقاتل الله تعالى واضعه ما اعدم حياءه
وادبه وما اجراه على اختلاق الكذب على سيد المتادبين
وراس العارفين صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم

وقلبه معلق بالمساجد

بالصواب انتهى ملخصا الوجه التاسع والعشرون في الكلام
على ما وقع من الرؤية والمناجاة والكلام وفرض الصلاة
وما وقع في المراجعة فمنها قوله في القصيدة فراى ربه فيه
دليل على وقوع الرؤية له صلى الله عليه وسلم تلك الليلة
وقد روى الامام احمد بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلعم رايت ربي عز وجل وقد
اختلف السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم في
رؤيته صلعم لربه ليلة المعراج ببصره فنفت ذلك
عائشة رضي الله عنها وذهبت الى انه انما راه بقلبه
وهو المشهور عن ابن مسعود وجاء مثله عن ابي هريرة
واليه ذهب كثير من المحدثين والمتكلمين وذهب ابن
عباس الى انه راه ببصره وبه قال سائر اصحاب ابن عباس
وبه جزم كعب الاحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون
وحكي عن الحسن انه كان يحلف ان محمدا صلى الله تعالى عليه و
سلم راى ربه وبه قال الشيخ ابو الحسن الاشعري وسائر
اتباعه وقال النووي الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني راسه ليلة المعراج وبسط
الكلام على ذلك وقال هو وغيره لم تنف عائشة الرؤية
بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط
على ما ذكرت من ظاهر الاية وقد خالفها غيرها من الصحابة
والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك

القول

القول حجة اتفاقا وقد خالف عائشة ابن عباس وغيره
كما تقدم بل اخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس انه كان
يقول نظر محمد الى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده وقد
تعقب قولهم انها لم تنف ذلك بحديث مرفوع ابن حجر بان
ذلك عجيب فقد اخرج مسلم في صحيحه عن مسروق انه لما
قال لعائشة الم يقل الله ولقد راه بالافق المبين ولقد
راه نزلة اخرى فقالت له انا اول الامة سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انما هو جبريل واخرجه ابن مردويه
ايضا عن مسروق انها قالت انا اول من سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل
رايت ربك قال لا انما رايت جبريل منهبطا لكن التقي
السبكي لما نقل في تفسيره عند قوله تعالى ما كذب الفؤاد
ما راى قول ابن عطية ان حديث عائشة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قاطع لكل تاويل في اللفظ وغيرها انما
هو مستنبط من الفاظ القران نظر السبكي في حديثها
المخرج في مسلم المذكور انفا بانه كان سؤالها يعني عائشة
عن ولقد راه بالافق المبين فليس مما نحن فيه وجائز
ان يكون ذلك جبريل وهذا وان كان عن الاثنين فيرد
ما قاله ابن عطية والاحتمال حاصل فيما سالته عنه
ليس في لفظها صريحة بذلك ثم قال السبكي في اخر
كلامه بعد ان نقل كلام النووي السابق وقد قدمنا

لان م

عن عائشة حديثا في مسلم وتمسك به ابن عطية وابدينا
فيه احتمالاً فاذا لك يسمى ما ادعاه هولاء الائمة من ان
عايشة لم تذكر فيه نصا وبان بهذا ان الراجح في تفسير
الاية ان الروية بالبصر وانها لله تعالى انتهى وذهب
جماعة الى الوقف في هذه المسئلة ولم يجزموا بنفي ولا
اثبات لتعارض الادلة ورجح ذلك الامام ابو العباس
القرطبي في المفهم وعزاه لجماعة من المحققين وقواه
بانه ليس في الباب دليل قاطع وغالب ما استدل به
الطايفتان ظواهر متعارضة قابلة للتاويل وقال وليست
المسئلة من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية
وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل
القطعي وقال التقي السبكي رحمه الله تعالى في السيف
المسلول ليس من شأنه ان يكون قاطعا متواترا بل متى
كان حديثا صحيحا ولو ظاهرا وهو من رواية الاحاد
جاز ان يعتمد عليه في ذلك لان ذلك ليس من مسائل
الاعتقاد التي يشترط فيها القطع على انا لسنا مكلفين
بذلك انتهى تنبيهان الاول منهما قال الحافظ بن حجر
المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم
لانه صلعم كان عالما بالله تعالى على الدوام بل مراد من
اثبت انه رآه بقلبه ان الروية التي حصلت له خلقت
في قلبه كما تخلق الروية بالعين لغيره زاد بعضهم بخلاف

72 غيره من الاولياء فانهم اذا اطلقوا الروية والمشاهدة
لانفسهم فانهم انما يريدون المعرفة فاعلمه فانه من الامور
المهمة التي يغلط فيها كثير من الناس انتهى والروية
لا يشترط لها شي مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها
في العين قال الواحدي وعلى القول بانه رآه بقلبه جعل
الله بصره في فؤاده او خلق لفؤاده بصرا حتى راى ببصره
ربه روية صحيحة كما يرى بالعين التنبيه الثاني ان محل
الخلاف الذي بين الصحابة في الروية انما هو في وقوعها
لا في امكانها وجوازها ومعاذ الله ان يختلفوا في امكانها
ومحاورتهم انما كانت في الوقوع واختلافهم في ذلك
دليل على اجماعهم على جوازها قال القاضي عياض
روية الله تعالى جائزة عقلا وثبتت الاخبار الصحيحة
المشهورة بوقوعها للمومنين في الاخرة اما في
الدنيا فقال مالك انما لم يروه سبحانه وتعالى في الدنيا
لانه باق والباقي لا يرى بالفاني فاذا كان في الاخرة
ورزقوا ابصارا باقية راوا الباقي بالباقي وهو
كلام حسن مليح وليس فيه دلالة في استحالة الروية
الا من حيث ضعف القوة فاذا قوى الله من شاء من
عباده اقتدر على حمل اعباء الروية في اي وقت كان
ولا مانع من ذلك وهو الحق كما ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يرى جبريل والصحابة عنده لا يرونه للقوة التي

امده الله تعالى بها دونهم قال الحافظ ابن حجر ووقع في صحيح
مسلم ما يؤيد هذه التفرقة بين الدنيا والآخرة في حديث
مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا واخرجه
ايضا ابن خزيمة من طريقين فاذا جازت الرؤية في الدنيا
فقد امتنعت سمعا لكن من اثبتها للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم له ان يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ومع
القول بجوازها في الدنيا لم يحصل لبشر غير نبينا صلعم
على ما في ذلك من الخلاف ومن ادعاها غيره في الدنيا
يقظة فهو ضال بل قال الامام الكواشي في تفسيره
في سورة النجم ومعتقد رؤية الله تعالى هنا بالعين لغير
محمد صلى الله عليه وسلم غير مسلم وقال الاردبيلي في
الانوار ولو قال اني ارى الله تعالى عيانا في الدنيا
ويكلمني شفاها كفر انتهى ونقل عن المهدوي المفسر انه
كفر مدعي الرؤية هنا وقد نقل جماعة الاجماع على انها
لا تحصل للاولياء في الدنيا قال الشيخان ابو عمرو ابن الصلاح
وابو شامة انه لا يصدق مدعي الرؤية في الدنيا يقظة
فان شيئا منع منه الكليم موسى عليه السلام و
اختلف في حصوله لنبينا صلعم كيف يسمح به لمن لم يصل
لمقامهما مما لا يتوقف فيه انه لا يحصل لآحاد الناس وقال
الشيخ ابو بكر الكلاباذي في التعرف ان المشايخ اطبقوا
على تضليل مدعيها يعني الرؤية في الدنيا وتكذيبه وصنفوا

في ذلك كتبا ورسائل وزعموا ان من ادعى ذلك لم يعرف
الله تعالى ووافق العلاء القونوي في شرحه على ذلك وقال
وان صح وقوع ذلك من المعتبرين فيمكن تأويله وذلك لان
غلبات الاحوال تجعل الغائب كالشاهد حتى اذا كثر اشتغال
السر بشيء واستحضاره له يصير كأنه حاضر بين يديه
وهذا معلوم لكل احد وعلى هذا يحمل ما نقل عن ابن عمر رضي
الله عنهما انه كان يطوف حول البيت فسلم عليه انسان
فلم يرد عليه فشكاه الى عمر رضي الله عنه فقال كنا نتراءى الله في
ذلك المكان وهذا يدل على انه قد يتفق ذلك في زمان
دون زمان ومكان دون مكان واما الآخرة فقد
دل الكتاب والسنة على حصول الرؤية للمؤمنين فيها
لانه يزول الضعف عن حواسهم فيرونه اما الكفار فلا
يرونه وكذا سائر الحيوانات وقد اختلف في رؤية الله تعالى
في المنام فمعظم المثبتين للرؤية على جوازها من غير كيفية
وجهة ونقل بعضهم عن النووي انه قال القاضي
عياض اتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام و
صحتها وان رآه الانسان على صفة لا تليق بجلاله من صفات
الاجسام لان ذلك المرئي غير ذات الله تعالى اذ لا يجوز
عليه سبحانه وتعالى التجسيم ولا اختلاف الاحوال
بخلاف رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام فرؤيته
تعالى كسائر انواع الرؤيا والتخيل له وقال بعض المحققين

ان ذكر رؤيته في المنام في مباحث الرؤية استطرادي لان
رؤيا المنام نوع مشاهدة بالقلب دون العين انتهى وحكي
عن كثير من السلف انهم راوه عز وجل في المنام فنقل عن
الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه انه قال رايت رب العزة في
المنام فقلت يا رب بم يتقرب المتقربون اليك وفي رواية
ما افضل ما يتقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا احمد
قلت يا رب بفهم وبغير فهم قال بفهم وبغير فهم فهذا
يدل على ان مذهب الامام احمد الجواز ونقل ان الامام ابا
حنيفة رضي الله عنه قال رايت رب العزة في المنام تسعة
وتسعين مرة فقلت في نفسي ان رايته تبارك وتعالى المائة
لاسئلنه بم تنجو الخلائق من عذابه يوم القيمة قال فرايته
سبحانه وتعالى فقلت يا رب عز جاهك وجل ثناؤك وتقدست
اسماؤك بم ينجو عبادك يوم القيامة من عذابك فقال
سبحانه وتعالى من قال بالغداة بالعشي سبحان الابدي
الابد سبحان الواحد الاحد سبحان الفرد الصمد سبحان
رافع السماء بغير عمد سبحان من بسط الارض على ماء جمد
سبحان من خلق الخلق فاحصاهم عددا سبحان من قسم الرزق
ولم ينس احدا سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
احد نجي من عذابي نقل ذلك صاحب مجمع الاحباب في اخر ترجمته
عن بعض الكتب وعن الترمذي الحكيم هو من مشايخ الرسالة
القشيرية قال رايت الله تعالى في المنام مرارا فقلت يا رب

سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا

بق

اني اخاف زوال الايمان فامرني بهذا الدعاء بين سنة الصبح والفرض
احدى واربعين مرة وهو هذا يا حي يا قيوم يا بديع السموات
والارض يا ذا الجلال والاكرام يا الله لا اله الا انت
اسالك ان تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا ارحم
الراحمين وعن الامام ابي العباس ابن شريح الباز الاشهب
انه راي في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت
واذا الجبار سبحانه يقول اين العلماء فجاؤا فقال ماذا
علمتم قال فقلنا وقصرنا فاسانا قال فاعاد السوال كانه
لم يرض بذلك الجواب واراد جوابا اخر فقلت اما انا فليس
في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال
اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال
والمنامات في ذلك كثير وفيما ذكرناه منها كفاية والله
سبحانه وتعالى اعلم وقوله في القصة وكلمه ربه الى ان
قال وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا ووقع في بعض
الروايات وجعلتك فاتحا وخاتما قال بعضهم فان قلت
ما الفرق بين هذا وبين قوله وجعلتك اول النبيين خلقا
واخرهم بعثا قلت الفاتح والخاتم اعم من هذا اذ يصدق
بانه فاتح كل خير وخاتمه فيندرج فيه هذا المعنى واول
من جهة الخلق خاص وكذلك كونه اخرهم من جهة البعث
فتامل انتهى وقوله واعطيتك خواتيم سورة البقرة من
كنز تحت العرش الى اخره فان قيل المعراج كان بمكة ونزول

يا الله

علمتم فيما

الآية بالمدينة فيجاب بما قال له بعضهم ليس المراد بقوله أعطي
انها انزلت عليه بل المعنى انه استجيب له فيما لقن من الاثنتين
من قوله تعالى غفرانك ربنا الى قوله فانصرنا على القوم
الكافرين ولمن يقوم بحقهما من السائلين انتهى والمراد
انه اعطاه ما سينزله عليه بعد ذلك وقوله فرضت
عليك وعلى امتك خمسين صلوة فقم بها انت وامتك
وفي رواية واعطي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك
بالله من امته شيئا المقحمات وفي رواية انس عن ابي
ذر فرض الله تعالى على امتي خمسين صلوة كل يوم وليلة
فيحتمل ان يقال في كل من هاتين الروايتين اختصار
ويؤيده قوله في الرواية المتقدمة اني فرضت عليك
وعلى امتك الى آخره او يقال ذكر الفرض عليه يستلزم
ذكر الفرض على الامة وبالعكس الا ما يستثنى من خصائصه
وفي ذلك اشارة الى عظم شأن الصلوة لكون
فرضها كان مختصا بليلة الاسرا ولاختصاص فرضها
بكونه بغير واسطة بل بمراجعات تعددت والحكمة في
تخصيص فرض الصلوة بليلة الاسرا انه صلى الله تعالى
عليه وسلم لما عرج به رأى تلك الليلة تعبد الملائكة
منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد
فلا يقعد فجمع الله له ولامته تلك العبادات في ركعة

واحدة

واحدة يصليها العبد بشرائطها من الطمانينة والاخلاص
وفي فرضها تلك الليلة كما قال له السهيلي التنبيه على فضلها
حيث لم تفرض الا في الحضرة المقدسة المطهرة ولذلك
كانت الطهارة من شأنها ومن شرائطها والتنبيه على انها
مناجاة الرب وان الرب تبارك وتعالى يقبل بوجهه الى
المصلي يناجيه ويقول حمدني عبدي الى آخر السورة وهو
المشاكل لفرضها عليه فوق السماء السابعة حين سمع كلام
العبد وناجاه ولم يعرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماء زمزم
كما يتطهر المصلي للصلاة واخرج عن الدنيا بجسده وروحه
كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل شيء الا
مناجاة ربه وتوجهه الى قبلته في ذلك الحين وهو
بيت المقدس ورفعه الى السماء كما يرفع المصلي يديه اشارة
الى القبلة العليا وهو البيت المعمور والى جهة عرش
من يناجيه ويصلي له سبحانه وتعالى وقوله في القصة
فاتى على ابراهيم فلم يقل شيئا ثم اتى على موسى قال ونعم
الصاحب كان لكم قال ما صنعت الى آخره قال ابن ابي جمرة
الحكمة في كون ابراهيم صلعم لم يكلم رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم في طلب التخفيف ان مقام الخلة انما هو
الرضى والتسليم والكلام في هذا المقام ينافي ذلك
المقام وموسى هو الكليم ومقامه مقام الادلال والانبساط
ومن ثم استبد بامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب التخفيف

انتهى على عبدي صح

الرب صح

دون ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من الاختصاص بابراهيم ازيد مما له بموسى
لمقام الابوة ورفعة المنزلة والاتباع في الملة وقال القرطبي
واما قول من قال انه اول من لاقاه بعد الهبوط فليس بصحيح
لان حديث مالك بن صعصعة انه راه في السادسة وابرهيم
في السابعة وهو اقوى اسنادا من حديث شريك الذي فيه انه
راى موسى في السابعة قال ابن حجر واذا جمعنا بينهما بانه
لقيه في الصعود في السادسة وصعد موسى الى السابعة
فلقيه فيها بعد الهبوط ارتفع الاشكال وبطل الرد وقال
القرطبي الحكمة في تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام
بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في امر الصلاة لعلها
لكون امة موسى كلفت بالصلاة ما لم يكلف به غيرها
من الامم فثقلت عليهم فاشفق موسى عليه الصلاة
والسلام على امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من مثل ذلك
ويشير اليه اني قد جربت الناس قبلك انتهى قال السهيلي
اعتنا موسى صلعم بهذه الامة والحاحه على نبينا ان
يشفع لها ويسال التخفيف عنها لان الله تعالى لما قضى
اليه بجانب الغربي وراى صفات امة محمد في الالواح
وجعل يقول اني اجد في الالواح امة صفتهم كذا وكذا
اللهم اجعلهم امتي فيقول تلك امة محمد صلعم فقال
اللهم اجعلني من امة محمد وهو حديث مشهور في

التفاسير فكان اشفاقه عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتني
بالقوم من هو منهم لقوله اللهم اجعلني منهم انتهى
وفي قول موسى صلى الله تعالى عليه وسلم فان امتك
لا تطيق ذلك الى اخره دليل على جواز الحكم بما اجرى الله
تعالى بحكمته من ارتباط العوائد لان موسى عليه السلام
حكم على هذه الامة بانها لا تطيق بسبب ما اخبره وهو
انه عالج بني اسرائيل ومن تقدم اقوى واجلد ممن
ياتي بعد فراى موسى ان ما لم يحمله القوي فمن باب اولى
ان لا يحمله الضعيف بعد فحكم بامر الحكمة في ارتباط العادة
مع ان القدرة صالحة ان يحمل الضعيف ما لا يحمل القوي
وقد ورد ان الصلاة التي كلف بها بنو اسرائيل
ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي وقيل ركعتان عند
الزوال ومع هذا لم يقوموا بذلك فمن ثم استكثر الخمس
لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واشفق عليهم من التخلف
عن القيام بواجبها فطلب السؤال في تقليلها وقد وقع
في هذه الامة ان كثيرا منهم يغلب عليه التفريط في الصلوات
الخمس وان كثيرا من المصلين مفرط في الشروط غير
موف بالحقوق فكان ذلك من اثار فراسة موسى عليه
الصلاة والسلام فيهم لانه قال للنبي صلعم وقد
رجع الفرض الى الخمس ارجع الى ربك فساله التخفيف
ولم يرد النبي صلعم فراسة موسى ولكن قال استحييت

وفي بعض الطرق قال رضيت واسلم وقوله عند سؤال
التخفيف قد وضعت عنكم خمسا كذا في رواية ثابت عن
انس وفي رواية مالك بن صعصعة عشرا وفي رواية
شريك وضع شطرها قال النووي المراد بحط الشطر انه
حط في مرات بمراجعات فلا يخالف رواية ثابت قال الحافظ
بن حجر وكذا العشر فكان وضع العشر في دفعتين و
الشطر في خمس دفعات والمراد بالشطر هنا البعض قال
وقد حققت رواية ثابت ان التخفيف كان خمسا خمسا
وهي رواية معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها خصوصا
وقد ايدها رواية اخرى قال بعضهم ولعل مراجعته
صلى الله تعالى عليه وسلم في طلب التخفيف تلك المرات
كلها انه علم ان الامر في كل مرة لم يكن على سبيل الالزام
بخلاف المرة الاخيرة ففيها ما يشعر بذلك كقوله تعالى
لا يبدل القول لدي وفي رواية انه صلى الله تعالى عليه وسلم
قال فعرفت انها عزمة من الله تعالى فرجعت الى موسى
فقال لي ارجع فلم ارجع وقيل انما امتنع النبي صلعم
من طلب التخفيف في المرة العاشرة انه صلى الله تعالى عليه
وسلم تفرس ان هذا العدد لا يحط منه فاستحيى ان يسأل
في مظنة الرد وجه التفرس انه تعالى ادرج التخفيف خمسا
خمسا فلو سأل التخفيف بعد ان صارت خمسا لكان سائلا
في رفعها وفي رفعها ارتفاع الصلاة بجملتها وقد علم انه

لا بد من وظيفة فلهذا ترك السؤال وكشف الغيب ان العلم
القديم قد تعلق ببقاء هذه الخمس ولهذا تيقن فصدقت
الفراسة واصابت الفكرة وفي ذلك دليل على ان الله
تعالى اذا اراد اسعاد عبد جعل اختياره في مرضات ربه
لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جعل الله تعالى اختياره
وايثاره فيما اراد الحق تبارك وتعالى انفاذه وامضاه
وهو فرض الصلوات الخمس وذلك تكريم له صلى الله
تعالى عليه وسلم وترفيع لانه لو رجع وطلب التخفيف فلم
يخفف كما خفف اولا لكان اختياره مخالفا للمقدور فلما
ان اختار واسعف في اختياره كان دليلا على ما استندنا
عليه وعلى علو منزلته صلعم وفيه دليل للصوفية
حيث يقولون ان الحال حال لا محول لان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لما ان ورد عليه حال الاشفاق وعلى امته
بادر الى طلب التخفيف عنهم ولم ينظر لعودة ذلك ثم لما ورد
عليه الحيا من الله تعالى لم يلتفت لامته اذ ذاك ولا
طلب شيئا قوله لا يبدل القول لدي ان قيل لم يبدل
القول حيث جعل الخمسين خمسا اجيب بان معناه لا يبدل
الاخبار لانه تعالى اذا اخبر عن حكم انه مؤبد استحال
التبديل والنسخ حينئذ لاجل العلم وقد اخبر تعالى انه امضى
الفريضة اي اكملها وجعل ثواب الخمس خمسين فلو بدل
هذا الخبر ولا يتوقع النسخ بعد ذلك اما التكليفات فانها

تبدل وتنسخ كما نسخ الخمسين الى الخمس ولا يبدل القضا المبرم
لا القضاء المعلق الذي يمحو الله ما يشاء منه ويثبت او معنا
لا يبدل القول بعد ذلك • وقد استدل بتخفيف الخمسين
الى خمس على جواز النسخ قبل التمكن من الفعل وقبل دخول
الوقت كما هو مذهب اهل السنة • خلافا للمعتزلة وغفر
لمن لم يشرك بالله من امته شيا المقحمات هي بضم الميم
وسكون القاف وكسر الحا الذنوب العظام من الكبائر
التي تهلك اصحابها وتقودهم الى النار والتقحم الوقوع
في المهالك قال النووي والمراد بغفرانها انه لا يخلد
في النار بخلاف المشركين وليس المراد انه لا يعذب
اصلا • وقد علم من نصوص الشرع واجماع اهل السنة
اثبات عذاب العصاة من المومنين • قوله في القصة
فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت
عن عبادي • من فوايد ما استدل به على ان الله تعالى كلم
نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم • ليلة الاسرا بغير واسطة
• قال ابن دحية خص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
• بالروية والمكالمة لانه صاحب الشفاعة في القيامة
فبوسط قبلها لان لا يقع له خشية البديهة كما تقع لغيره
من الانبيا • فاراد سبحانه وتعالى ان يزيل عنه قبل ذلك
المقام الانقباض ليتمكن في المقام المحمود • واهله سبحانه
قبل المشهد الاعلى للمشاهدة • والكلام ثم رفعه الى مكان

من الشفاعة في اليوم الموعود
ح

لامهاله

لا مكان بعد مكانه ولا مقام وراء مقامه ليكون مشاهدا
للكل فيتفرغ في المشهد الاعلى • ويتمكن في المقام المحمود وقال
بعضهم في هذه المراجعة التي وقعت بين موسى • والنبي
صلى الله تعالى وسلم • فوايد منها تكرار الشفاعة في القضية
الواحدة الى ان يتم مقصود الشافع ومنها الرجوع الى
المشير الناصح • ومنها انه لا يمتنع من الشفاعة وان كان
داخلا فيها الى غير ذلك من الفوايد ولبعض الذايقين
كلام في هذا المقام بديع النظام • سلك فيه مسلك اهل
المحبة وحظا منهم وقد علم كل اناس مشربهم وقال
لما سال موسى عليه الصلاة والسلام • الروية فلم
تحصل البغية بقي الشوق بقلبه والامل بمقلته فلما
تحقق ان الحبيب منح الروية • وفتح له باب المنية كثر السوال
عما جرى ليسعد برؤية من قد راى وردد في امر الصلاة
الحبيب ليستفيد روية حبيب الحبيب ولله در القايل حيث
يقول • واستنشق الارياح من نحو ارضكم • لعلي اراكم
او ارى من يراكم • والقايل الاخر • وانما السر في موسى
يردده • ليجتلي حسن ليلى حين تشهده • يبدو سناها على وجه
الرسول فيا • لله در رسول حين اشهده • قوله في القصة
فلم يزل يرجع بين موسى • وبين ربه معناه بين موضع
مناجاة ربه وكذلك قول موسى له ارجع الى ربك • اي
الى موضع مناجاة ربك • فكان رجوعه من المكان الذي

يقي فيه موسي الي الموضع الذي وقعت فيه المناجاة و
السوال لربه ولا يلزم من موضع السوال ان يكون المسؤل
فيه او يكون جايزا له تعالى الله جل وعلا وتنزيهه عن الجهة
والمكان فرجوع النبي صلي الله عليه وسلم لربه الي السوال
فيه لتشرف ذلك الموضع علي غيره كما كان الطور موضع
سول موسي في الارض ومع انتهايه صلي الله تعالي عليه و
سلم تلك الليلة التي عرج به فيها الي ان ظهر لمستوي سمع
فيه صريف الاقلام كان هو ونبي الله يونس اذ التقمه
الحوت وذهب به في البحار يشقها حتي انتهي به الي قرار البحر
سوا في القرب من الله تعالي لتعاليه وتنزيهه عن الجهة
والمكان والتحيز والحد والاحاطة وقد نقل القرطبي
في التذكرة ان القاضي ابا بكر بن العربي المالكي ذكر قال
اخبرني غير واحد من اصحابنا عن امام الحرمين ابي المعالي
عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني انه سيل هل
الباري في جهة فقال لا هو يتعالي عن ذلك قيل له ما
الدليل عليه قال الدليل عليه قول النبي صلعم لا تفضلوني
علي يونس بن متي قيل له ما وجه الدليل في هذا الخبر فقال
لا اقوله حتي ياخذ ضيفي هذا الف دينار يقضي بها
دينا فقام رجلان فقالا هي علينا فقال لا يتبع بها اثنين
لانه يشق عليه فقال واحد هي علي فقال ان يونس رمي بنفسه
الي البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادي

لا اله

لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين كما اخبر الله تعالي
ولم يكن محمد صلي الله عليه وسلم حين جلس علي الرفرف الاخضر
وارتقي صاعدا حتي انتهي الي موضع يسمع فيه صريف
الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه فاوحي اليه ما اوحي باقرب
الي الله من يونس في ظلمة البحر فالله سبحانه وتعالي قريب
من عباده يسمع دعاهم ولا يخفي عليه حالهم كيف
ما تصرف من غير مسافة بينه وبينهم فيسمع ويري
دبيب النملة السودا علي الصخرة الصما في الليلة الظلما
تحت الارض السفلي كما يسمع ويري تسبيح حملة العرش
من فوق السموات السبع العلي لا اله الا هو عالم الغيب
والشهادة احاط بكل شي علما واحصي كل شي عدد
الوجه الثلاثون في الكلام علي ما وقع له في رجوعه
من الاسرا من شرب الما وحبس الشمس له وغير ذلك
قال السهيلي فان قيل كيف استباح النبي صلي الله تعالي
عليه وسلم شرب الما الذي في القدح وهو ملك لغيره
واملاك الكفار لم تكن استبيحت له يوميذ ولا دماوهم و
الجواب ان العرب في الجاهلية كان في عرف العادة عندهم
اباحة اللبن لابن السبيل فضلا عن الما وكانوا يعهدون
بذلك الي رعاتهم ويشترطونه عليهم عند عقد اجارتهم
ان لا يمنعوا اللبن من احد مر بهم فكيف الما وللعرف حكم في
عرف الشريعة اصول تشهد له انتهي وذكر ابن المنار رحمهم

الله تعالى في الخصائص انه صلى الله تعالى عليه وسلم ابيح له
اخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا
احتاج النبي صلى الله عليه وسلم اليهما وانه يجب على صاحبهما
البذل له صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم قوله في القصة وحبست عليه الشمس لما سأله
عن العير متى تجيء قال يوم الاربعاء فجعلوا ينتظرونها
وقد ولى النهار ولم تجئ فدعى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فزيد له في النهار ساعة فقد رواه البيهقي وغيره
واخرج الطبراني في الاوسط عن جابر ان النبي صلعم امر
الشمس ان تتأخر ساعة من النهار فتأخرت ساعة من النهار
وسنده حسن كما قاله الحافظ ابو الحسن الهيثمي في مجمع الزوائد
والحافظ بن حجر في فتح الباري في باب قوله صلى الله عليه
وسلم احلت لكم الغنائم والحافظ ابو زرعة الولي
العراقي في شرح التقريب قال الحافظ بن حجر ولا يعارضه
ما رواه احمد بسند صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الشمس لم تحبس الا ليوشع بن نون
ليالي سار الى بيت المقدس ووجه الجمع ان الحصر محمول على
ما مضى للانبياء قبل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تحبس
الشمس الا ليوشع وليس فيه نفي انها قد تحبس بعد ذلك
لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وقد ورد ان الشمس
ردت عليه صلى الله عليه وسلم بعد ما غربت فروى الطبراني

باسانيد

باسانيد رجال بعضها ثقات عن اسماء بنت عميس قالت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا
في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر
فوضع رسول الله صلعم راسه على حجره فنام فلم يحركه
حتى غابت الشمس فقال عليه الصلوة والسلام اللهم
ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيك فرد عليه الشمس
قالت فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض
وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت وذلك
بالصهباء بخيبر وفي لفظ آخر كان عليه الصلوة و
السلام اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فانزل عليه
الوحي يوما وهو في حجر علي فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعى
الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قال فرأيت الشمس
طلعت بعد ما غربت والحديث رجاله موثقون وغالبهم
من رجال الصحيح وقد حسنه الحافظان الولي العراقي
والجلال السيوطي ولا يلتفت لايراد ابن الجوزي له في
الموضوعات فقد خطأه الحافظ في ذلك ومن فوائد
طلوع الشمس بعد غروبها ان الوقت يعود ومن ثم لما
عادت صلى علي العصر اداء بل عودها لم يكن الا لذلك ومثل
ذلك ما لو تأخر غروبها عن وقتها المعتاد فان الوقت
باق كما في حبسها في قصة الاسراء لدخول العير كما تقدم

بل التاخير اولى بقاء الوقت قال ذلك ابن العماد في
التعقيبات وقد صرح القرطبي بذلك في التذكرة في باب
ما ذكر الموت والاخرة فقال لو لم يكن رجوع الشمس
نافعا وانه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه انتهى
ووجهه بعضهم بان الشمس لما عادت كانها لم تغب
وقد وقع حبس الشمس كرامة لبعض اولياء هذه الامة ذكر
ابن السبكي في طبقاته واليافعي في كفاية المعتقد وغيرهما
ان مما استفاض قال اليافعي ومما تواتر من كرامات الاولياء الشيخ
الكبير سيدي اسماعيل بن محمد الحضرمي شارح المهذب
رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته انه قال يوما لخادمه وهو
في سفر قل للشمس تقف حتى نصل الى المنزل وكان في مكان
بعيد وكان عادة اهل المدينة انهم لا يفتحون بابها
بعد الغروب لاحد ابدا فقال لها الخادم قال لك الفقيه
اسمعيل قفي فوقفت حتى بلغ مكانه ثم قال للخادم ما تطلق
ذلك المحبوس فامرها الخادم بالغروب فغربت واظلم
الليل في الحال وهذا من باب ما كان معجزة لنبي جاز ان تكون
كرامة لولي خاتمة اخرج ابن مردويه عن انس رضي الله عنه قال
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ اسري به ريحه ريح
عروس واطيب من ريح عروس قال بعضهم فقد كانت
الرائحة الطيبة صفته صلعم وان لم يمس طيبا وروينا
عن انس قال ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا

81

اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية
للبخاري ولا شممت مسكة ولا عبيرة اطيب من رائحة
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي رواية الترمذي ولا
شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول
الله صلعم وعن انس رضي الله عنه قال دخل علينا
رسول الله صلعم فنام عندنا فعرق وجاءت امي بقارورة
فجعلت تسلت العرق فاستيقظ رسول الله صلعم فقال
يا ام سليم ما هذا قالت عرقك نجعله لطيبنا وهو
اطيب الطيب رواه مسلم وروى ابو يعلى والطبراني
قصة الذي استعان به صلعم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده
شيء فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه فقال مرها
فلتطيب به وكانت اذا تطيبت شم اهل المدينة ذلك الطيب
فسموا بيت المطيبين قال جابر بن عبد الله كان في رسول الله
صلعم خصال لم يكن يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه
سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له رواه
الدارمي والبيهقي وابو نعيم ولله در القائل حيث يقول
ولو ان ركبا يمموك لقادهم نسيمك حتى يستدل به الركب
وعن انس قال كان رسول الله صلعم اذا مر في طريق من طرق
المدينة وجدوا منه رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله
صلعم من هذا الطريق رواه ابو يعلى والبزار باسناد صحيح
فنسال الله تعالى ان يردنا مورد سيد المرسلين وان يجعلنا

لاقواله وافعاله من المتبعين ولسنته من المتمسكين وان يدخلنا
في شفاعته ويجعلنا تحت لوائه يوم الدين صلى الله تعالى عليه وسلم
وجزاه افضل ما جزا نبيا عن امته ورضي الله تعالى عن اله وصحابته
والتابعين وتابعيهم والائمة المجتهدين وسائر علماء المسلمين امين
قال مولفه نفعنا الله تعالى به في الدنيا والاخرة وكان الفراغ
من تكملته عشية نهار الاربعاء سابع عشر شهر رجب الفرد
سنة تسع وسبعين وتسعمائة احسن الله تعالى تقضيها وبارك
في ايامها ولياليها وجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم وموجبا
للفوز بجنات النعيم امين قال مولف هذا الكتاب الذي صار لما اودع
من الحكم محيط مفردا كاقرار معزز اكاعزاز نظم
يا من غدا ناظرا فيما كتبت وقد ... اضحى يردد فيما قلته نظرا
ناشدتك الله ان عاينت لي خطا ... فاستر عليه فخير الناس من سترا
قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ... هنيئا لاصحاب خير الورى
ولا نس اصحاب اخباره ... اولئك فازوا بتذكيره
ونحن سعدنا بتذكاره ... وهم سبقونا الى نصره
وها نحن اتباع انصاره ... ولما حرمنا لقا عينه
عكفنا على حفظ اثاره ... عسى الله يجمعنا كلنا
برحمته معه في داره
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين
تم تحريرها على يد العبد الضعيف المفتقر الى عفو اللطيف
علي بن اسد الله الحلبي وذلك في اواخر شهر ربيع الثاني من شهور سنة تسعين والف